الإصابة
في
تمييز التوبة والإنابة

أو

تذكرة الأنام
في
وجوب التوبة عن جميع الآثام

تأليف

العارف بالله، الشيخ أحمد مُحَمَّد عمر
الشريف الحسني التجاني الأشعري
المالكي البرناوي اليرواوي
رضي الله عنه
وعنا به آمين

طبع ونشر

رابطة شباب الزاوية

تنبيه

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على أفضل الخلق على الإطلاق ، سيد السادات ، وعلى آله وأصحابه وسلم.

أما بعد: هناك بعض الأوراق سيضاف على هذا الكتاب عند الطبع.

نسأل الله النفع بها آمين بحرمة سيد الثقلين ، المبعوث رحمة للعالمين ، آمين.

كتبه الخليفة الحاج عمر أحمد مُحَمَّد الشريف التجاني

١٤ ربيع الأول ١٤٤٥هـ

تنبيه

فليعلم الواقف على هذه النسخة بأنها طبعت من مسودة الشيخ المؤلف ، وهي غير مرقمة ، وإنما اعتمدت اللجنة على هذه النسخة لعدم وجود غيرها ، ومن الغيب معرفة تبيض الكتاب ، والسؤال هنا: هل توجد نسخة أخرى أم لا؟ وقد تعبت اللجنة في سبيل العثور على مؤلفات الشيخ رضي الله عنه ، ولم يصلها خبر هذا الكتاب ، فرأت اللجنة أن تسرع بطبعه ونشره لئلا يدخل في خبر كان ، أو من جملة ما يسمع به ولا يوجد. وعلى الله قصد السبيل.

ومن كان عنده شيء من انتاجات الشيخ رضي الله عنه فليسعدنا بنسخة منها ، تواصلوا معنا بهذا الرقم: 2348089902916+ مأجورين مشكورين.

نبذة وجيزة عن المؤلف

هو العلامة البحاثة في ميادين العلوم ، البارع المبرز في لجج المعاني والفهوم ، المشار إليه في دائرة الولاية العظمى بكل بنان ، والحائز قصب السبق في ميادين العلوم والعرفان ، الشيخ أحمد بن مُحَمَّد بن عمر بن مُحَمَّد الشريف الحسني نسباً التجاني طريقة ، الإبراهيمي مشرباً ، المالكي مذهباً ، الأشعري عقيدة ، الفاسي أصلاً ، البرناوي مولداً ومسكناً ،المولود ليلة الجمعة الأخيرة قبيل سنة ١٣٥٠هـ بمدينة ميدغري ولاية برنو نيجيريا.

ونشأ على حجر والده ، وتعلم القرآن الكريم حتى حفظه ، وجوده بإتقان ، ثم شرع في طلب العلوم الدينية والعربية عند علماء مدينة ميدغري كالشيخ عثمان كوتريمه ، ومعلم فنامي ، ومعلم عبد القادر مُحَمَّد ، والغوني دنقس ، ومعلم بكر (كَيْمِي فَرْ) وغيرهم، وأخذ العلوم العقلية والنقلية عن الشيخ أحمد أبي الفتح ، ثم خرج إلى مدينة كنو لقصد الوصول إلى مدينة كولخ لزيارة صاحب الوقت الشيخ إبراهيم انياس رضي الله عنه ، فحبسته بعض الأعذار بكنو فتعلم بعض كتب التصوف وغيره على يد الشيخ أبي بكر عتيق الكنوي ، كما أخذ عن زميله العلامة بكر صغير ، ثم انكب على التعلم عند شيخه أبي الفتوحات والبركات الشيخ أحمد علي يرو ، وقد زار مدينة

كولخ عدة مرات ، فسمع من شيخ الإسلام الشيخ إبراهيم الكولخي ، والشيخ حسن دم ، والشيخ عمر غي ، والشيخ بابه سليمان ، وغيرهم ، كما أخذ واستفاد من بعض علماء تشاد والسودان ، وغيرهم ، وقد حصلت له عدة إجازات من شيوخ كثيرين في الطريقة والقراءات والعلوم الدينية والعربية وفي الأسرار والخواص وغيرها[1].

وقد تتلمذ على يديه رحمه الله كثير من فحول العلماء النيجيريين والتشاديين والسودانيين والمصريين وغيرهم.

وقد ألف رضي الله عنه كثيرا من الكتب والرسائل في فنون شتى ، منها:

١. إرشاد الفريق إلى آداب الطريق.
٢. التذكار في تفسير معاني بعض الأذكار.
٣. الإصابة في تمييز التوبة والإنابة. (وهو الكتاب الذي بين أيدينا)
٤. الإمارة الثابتة بلا عزلة في الخلوة والعزلة.
٥. الأنوار الربانية في التربية بالطريقة التجانية.
٦. البعوث والسرايا لرسائل شيخ الإسلام إلى أعيان علماء نيجيريا.

---

[1] . يراجع: عمر آدم مُحَمَّد التجاني البرناوي: **فواتح النصر الرباني في سيرة الشيخ أحمد شريف تجاني**، ص: ٢٦ – ٣١ مخطوط

٧. تحفة المريد في طريق شيخنا السديد.
٨. تذكرة الإخوة في فضائل الصحبة والخدمة والمحبة.
٩. تلخيص شروط الطريقة التجانية.
١٠. تحفة الإخوان في ذكر شروط الطريقة التجانية.
١١. تصفية السقاية أو تنظيم الرواية شرح سلم الدراية.
١٢. الحسنى والزيادة في فضائل الفاتحة والفاتح وسر الزيارة.
١٣. الصراط المستقيم فيما عليه الشيخ إبراهيم.
١٤. العروة الوثقى في مأمورات التقوى. (شرح على كتابه الوصايا الصديقية)
١٥. تنبية البررة في كون الشيخ إبراهيم صاحب الفيضة.
١٦. فتح الغني الحميد شرح بغية المريد.
١٧. الفيوضات الربانية في ذكر شروط الطريقة التجانية
١٨. فضل الملك المختار في الفرق بين الليل والنهار.
١٩. الحجة البالغة في أسرار الطريقة التجانية وأسرارها السابغة.
٢٠. ميدان الدرب شرح روح الأدب.
٢١. الوصايا الصديقية المبلغة إلى مقامات الصديقية.

٢٢. تحفة الأسفار في الصلاة على النبي المختار في الآصال والإبكار.
٢٣. مجموع الأحزاب والأدعية التي أجرى الله على لسانه رضي الله عنه وعنا به آمين.
٢٤. الجواهر الفخام في الأسامي العظام.
٢٥. الخلاصة الكريمة في بيان استخراج الاسم العظيم الأعظم ، الكبير الأكبر ، والاسم الجامع ، والنور اللامع من فاتحة الكتاب الشريفة ، المسمى باسم دائرة الإحاطة.
٢٦. الروض الباسم في أسرار الخاتم.
٢٧. فتح الغفار في خواص دور الأنوار.
٢٨. الفتح الرحماني بشرح الفتح الرباني.
٢٩. منن النافع في خواص الجامع.
٣٠. إرواء الهيم بذكر تعريف الشيخ إبراهيم.
٣١. ترجمة التراجم في إثبات الخلافة والقطبانية والفردانية والغوثية والإمامية في الفيضة للشيخ إبراهيم.
٣٢. تسلية الأخ الصميم في تركة الشيخ إبراهيم.
٣٣. روض الجنان في ترجمة الشيخ أحمد التجاني الكانمي.

٣٤. عطية الرحمن الرحيم في مناقب أصهار الشيخ إبراهيم.
٣٥. فتح المجيد في تاريخ تأسيس مسجد مدينة الجديد.
٣٦. الكانوريون عرب مسلم من فجر الإسلام إلى عصر هذا اليوم وإلى غد إن شاء الله تعالى.
٣٧. الكشف الجلي في مناقب أحمد علي.
٣٨. إنارة العقل في عدم جواز الوقف بالإشباع والنقل.
٣٩. تذكرة المهرة في بيان أحكام المد والهمزة.
٤٠. فتح الرؤف في بيان الوقوف والابتداء وكيفيات الوقوف.
٤١. فتح الرؤف في بيان الوقوف والابتداء وكيفيات الوقوف. (مختصر)
٤٢. فتوحات المنان في إجازة القرآن.
٤٣. هدية الأحباب شرح بهجة الطلاب وتحفة القراء والكتاب.
٤٤. هدية الصالحين من أحاديث سيد المرسلين.
٤٥. شرح معين الطالب الراغب في مصطلح الحديث للشيخ أبي الفتح.

٤٦. إحياء الموات في بيان الأذكار الواردة عند العقد والتسمية وإعادة المرضى وتشيع الأموات.
٤٧. شفاء الصدور في تهيئ الميت وزيارة القبور.
٤٨. النصيحة المعجلة إلى من اختارت الزواج المرسلة بالمجاورة.
٤٩. إرشادات الطلاب في إعراب وتصريف متن رائية الإعراب.
٥٠. تعديل العنان لرياضة أفراس العقل في التصريف والميدان.
٥١. سبك اللآلئ المصطفوية بذكر أمثلة الآجرومية.
٥٢. الفلك المشحون في اصطلاحات العلوم والفنون.
٥٣. الفلك المشحون شرح الجوهر المكنون.
٥٤. سبك الذهب في أوزان بحور العرب.
٥٥. فتح الرءوف في سر قصيدة الحروف.
٥٦. تذكرة الساهي في أحكام ومنافع الشاهي.
٥٧. فتح القدير في علوم الرؤيا والتعبير. وغيرها من المصنفات المفيدة.

توفى رضي الله عنه يوم الأربعاء ٢١ من شوال سنة ١٤٢٩هـ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله القائل: {وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} [النساء: ١٨] والقائل: {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} [النساء: ١٧] والقائل: {وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ} [الغافر: ٥٥] والقائل: {وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ} [محمد: ١٩] والقائل: {وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [المزمل: ٢٠] والقائل: {لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ، الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ} [آل عمران: ١٥ – ١٧] والقائل:

{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ} [الأنفال: ٣٣] والقائل: **{وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ}** [آل عمران: ١٣٥] والقائل: **{وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا}** والقائل: **{وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ}** [هود: ٣] والقائل إخبارا عن نوح صلى الله عليه وسلم: **{فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا}** [نوح: ١٠] والقائل حكاية عن هود ﷺ: **{وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ}** [هود: ٥٢] والقائل: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ}** الآية [التحريم: ٨]

والقائل: **{وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}** [النور: ٣١]

والصلاة والسلام على سيدنا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه القائل: عن الأغر المزني الصحابي رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال: "**إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة**" رواه مسلم.

عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "**إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة**" رواه البخاري. والقائل: "**من استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه**" الحديث. والقائل: "**توبوا، فإني أتوب في كل يوم سبعين مرة**" وفي بعضها: "**مائة مرة**"اهـ الدر الثمين. والقائل: "**التائب من الذنب كمن لا ذنب له**"

أما بعد: فيقول أحمد بن مُحَمَّد بن عمر الأشعري المالكي التحاني البرناوي غفر الله له ولوالديه وسائر المسلمين المساوي آمين:

فهذه رسالة وضعتها لنفسي ولمن شاء الله من إخواني المسلمين التائبين المستغفرين الآئبين إلى الله تبارك وتعالى المقتفين لسائر المومنين ، وضعتها في حادثة وقعت بمناسبة أرجوزة التوبة والإنابة ، التي أنشأها مولانا شيخ الإسلام ، وسعادة الأنام ، الشيخ إبراهيم بن الحاج عبد الله الكولخي السنغالي التجاني في حجته السادسة عام ١٣٧٧ (جاء خيره وسرنا) ألف وثلاثمائة وسبع وسبعين هجرية ، وهو في الطائرة على طريق عودته إلى بلاده رقت مشاعره ، وطالت تلاوته ، ولذت مناجاته ، فقالها متضمنة بعض ما في نفسه بحب ورجاء وخضوع وإنابة ، وقد أوشك أن يذوب من جلال الحق سبحانه وتعالى ، ثم إنه لما رآها بعض من لا علم عندهم لمفرط العداوة ، المستنكفين عن التوبة ، والمزعجين عن نجوى التوابين ، والمتقولين عن البراء ، المسئين الظن لعباد الله ، حاول استغلالها لإذاية المومنين ، والتقول على قائلها وعلى أحبابه ، واستحدثها

وصورها مع صورة المنشئ بغير تاريخ وحروف بعض معاني بأخطاء إملائية وطبعية.

وضعتها مبينا حال الناس في الفطرة الأولى وقبل إرسال الرسل ، وأنواع الكفر وأصولها ، وأصول البدعة وأنواعها ، وأنواع الذنوب ، وأشياء لا بد منها لكي يعرف التائب من أين رجع ، وإلى أين آب ، ومبنيا بمقامات التوبة وحكمها على عباد الله المومنين ، ومراتبها وخواصها وأسرارها ، وأنه مرتبة سامية ، ومنقبة جسيمة.

ورتبتها على مقدمات ومقاصد وفصول وفوائد ، وخاتمة ، وسميتها بـ**(الإصابة في تمييز التوبة والإنابة)** أو **(تذكرة الأنام في وجوب التوبة عن جميع الآثام)** وهذا أوان الشروع في المقصود ، بعون الملك المعبود ، فأقول وعلى الله أصول:

المقدمة
في
بيان أن الناس في أصل الفطرة الأولى مسلمون

قال تعالى: **{كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}** [البقرة: ٢١٣] وقال تعالى: **{لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ (١) رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً (٢) فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (٣) وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ}** [البينة: ١ — ٤]

وفي الحديث: **"كل مولود يولد على فطرة الإسلام إلا أن أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه"** قال تعالى: **{إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ}** [آل عمران: ١٩] **{وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}** [آل عمران: ٨٥]

المقدمة الثانية

في

بيان أنواع الكفر

الكفر: من كفر يكفر كفرا ، وكفورا ، وكفرانا ، ضد آمن.
وفي الحديث: "**الفرق بيننا وبين الكفار ترك الصلاة**"

وكفر كفرا وكفورا وكفرانا — نعمَ الله وبنعمِ الله: جحدها وتناساها ، فذلك ضد الشكر. وبكذا تبرأ منه. قال تعالى: **{لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ}** [إبراهيم: ٧] وفي الحديث: "**الشكر قيد النعمة**" وقال تعالى: **{وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ}** [الضحى: ١١] وقال ﷺ: "**إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده**" وقال: "**التحدث بالنعمة شكر، وتركه أو كفرانه كفره**" أو كما قال. وفي المثل: الكفر مخبثة لنفس المنعم. الكفر أي الكفران بالنعم. والمخبثة: المفسدة. يعني أن الكفر بالنعم يفسد قلب المنعم على المنعَم فيه.اهـ

وقيل: الكفر كفران: كفر محض أو صريح ، وكفر دون كفر. ومنها نسبة ما لله إلى غيره سبحانه وتعالى. وأخرج أبو داود والترمذي والنسائي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "**من أتى حائضا في فرجها أو امرأة في دبرها أو كاهنا فقد كفر بما أنزل على مُحَمَّد**" وفي مسلم عن زيد بن خالد الجهني: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في إثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: "**هل تدرون ماذا قال ربكم ؟** قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: **أصبح من عبادي مومن بي وكافر ، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مومن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومومن بالكوكب**"اهـ

أنواع الكفر:

قال ابن العربي في الأحكام: "والكفر وإن كان أنواعا متعددة مذكورا في القرآن والسنة بألفاظ متفرقة فإن اسم الكفر يجمعها. قال الله سبحانه: {**إِنَّ الَّذِينَ**

آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا} [الحج: ١٧]

وخص النبي ﷺ المعنى المقصود بالبيان فقال: **"أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله"** وهو المقصود الأعظم، والغاية القصوى.اهـ انتهى الأحكام، صـ ٩٠٥ الجزء الثاني.

أقسام الشرك إلى صغير وكبير و خفي وجلي:

الشرك قسمان: شرك أكبر، وشرك أصغر، وفي الحديث: **"إياكم والشرك الأصغر"** قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: **"الرياء"** قال تعالى: **{فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ (٦) وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ}** [الماعون: ٤ – ٧] وفي الحديث: **"إن الله حرم الجنة على كل مراء"** وقال تعالى: **{ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا}** [النساء: ١٤٢] وقد ضرب مثل المرائي بقوله: **{لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ}**

[البقرة:٢٦٤] وفي الحديث: "**الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل على الصفا في الليلة الظلماء**" وأدناه أن تحب على شيء من الجور، وأن تبغض على شيء من العدل، وهل الدين إلا الحب في الله والبغض في الله. قال تعالى: { **قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي**} الآية. [آل عمران:٣١]

وأما الشرك الأكبر أو الجلي فهو الإشراك بالله سبحانه وتعالى. قال تعالى: {**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**} [النساء: ٤٨] وقال: { **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**} {لقمان: ١٣] وقال: "**ومن يشرك بالله فقد حرم عليه الجنة**"

والإشراك ينقسم إلى ما ياتي:

١. **شرك الاستقلال:** وهو إثبات إلهين مستقلين.
٢. **وشرك التبعيض:** وهو تركيب الإله من آلهة كشرك النصرى.

٣. **وشرك التقريب:** وهو عبادة غير الله تعالى ليقرب إلى الله زلفى كشرك متقدمي الجاهلية.

٤. **وشرك التقليد:** وهو عبادة غير الله تعالى تبعا للغير كشرك متأخري الجاهلية.

٥. **وشرك الأسباب:** وهو إسناد التأثير للأسباب العادية كشرك[٢] الفلاسفة والطبائعين ومن تبعهم على ذلك.

٦. **وشرك الأغراض:** وهو العمل لغير الله تعالى.

وحكم الأربعة الأول الكفر بإجماع.

وحكم الخامس التفصيل ، فمن قال بالأسباب العادية أنها تؤثر بطبعها فقد حكي الإجماع على

---

[٢]. ككون الطعام يشبع ، والماء يروي ، وينظف ، والسكين يقطع ، والثوب يستر العورة ، والنار يحرق بطبعه ، وغير ذلك. المؤلف.

كفره. ومن قال بقوة أودعها الله فيها فهو فاسق مبتدع ، وفي كفره قولان.

وأصول الكفر والبدع سبعة:

١. **الإيجاب الذاتي:** وهو إسناد الكائنات إلى الله تعالى على سبيل التعليل أو الطبع من غير اختيار.
٢. **والتحسين العقلي:** وهو كون أفعال الله تعالى وأحكامه موقوفة عقلا على الأغراض ، وهو جلب المصالح ودرء المفاسد.
٣. **والتقليد الردي:** وهو متابعة الغير لأجل الحمية والتعصب من غير طلب الحق.
٤. **والربط العادي:** وهو إثبات التلازم بين أمرين وجودا وعدما على سبيل التأثير.
٥. **والجهل المركب:** وهو أن يجهل الحق ويجهل جهله به.

٦. **والتمسك في أصول عقائد الإيمان بمجرد ظواهر الكتاب:** ومن غير تفصيل بين ما يستحيل ظواهرها منها وما لا يستحيل.

٧. **والجهل بالقواعد العقلية:** التي هي العلم بوجوب الواجبات ، وجواز الجائزات ، واستحالة المستحيل ، وباللسان العربي الذي هو علم اللغة والبيان.اهـ المقدمة للسنوسي في علم التوحيد.

تفصيل:

١. **فاليهودية:** أعداء الإسلام حيثما كانوا. قال تعالى: **{اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ}** [الفاتحة: ٦ — ٧] قال تعالى: **{لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ}** [المائدة: ٨٢] وقال تعالى: **{لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ}** [المائدة: ٧٨] الآية.

وهذه اللعنة تشمل أصدقاءها **{وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ}** [هود: ١١٣] وكما أن الإسلام يقتضي معاداة بني إسرائيل فهو يقتضي حب العرب لحب النبي ﷺ والقرآن الكريم. وفي الحديث: "**أحبوا العرب لثلاث: لأني عربي والقرآن عربي، وكلام أهل الجنة في الجنة عربي**" الحديث. وقد افترقت إلى إحدى وسبعين فرقة كما في الحديث.

٢. **وصابين:** قوم يعبدون الملائكة، ويقولون إنها بنات الله. وقيل: إنهم يرون تأثير الكواكب. وفيه لغتان: الهمز وتركه من صبإ إلى الشيء إذا مال إليه.اهـ ابن جزي.

صابئين: أي خارجين من دين إلى دين. ويقال: صبأ فلان : إذا خرج من دينه إلى دين آخر. وصبأت النجوم خرجت من مطالعها، وصبأنا به خرج. وقال قتادة: الأديان ستة، خمسة

للشيطان، وأصحابها في النار، وواحد للرحمن وأصحابه في الجنة.

الصابئون يعبدون الملائكة، ويصلون للقبلة، ويقدمون للزبور.

والمجوس: يعبدون الشمس والقمر، وقيل: يعبدون النار. ويقولون: العالم له أصلان: النور والظلمة. وقيل: قوم يستعملون النجاسات، والأصل نجوس أبدلت النون ميما.اهـ

والذين أشركوا يعبدون الأوثان، واليهود والنصرى.

٣. **النصرانية:** اعتقاد أقانيم الثلاثة: أقنوم الوجود، وأقنوم العلم، وأقنوم الحياة. قال تعالى: **{لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ}** الآية. وهم الظالمون المعطوف على اليهود المغضوب عليهم ولا الضالين. وقد افترقت إلى اثنين وسبعين فرقة، كما في الحديث.

النصارى: هم طوائف ثلاث: يقولون تدرع الناسوت باللاهوت بطريق الامتزاج كالخمر بالماء عند الملكانية ، وبطريق الإشراق كالشمس في كورة بلور عند النسطورية ، وبطريق الانقلاب لحما ودما بحيث صار الإله هو المسيح عند اليعقوبية.اهـ

فصل في السحر: وقد عده ﷺ من الموبقات. قال: "**اجتنبوا الموبقات**" فذكر منها السحر. وقال البيضاوي: المراد بالسحر ما يستعان في تحصيله بالتقرب إلى الشيطان بما لا يشتغل به الإنسان إلى آخر ما قال.

وما كان من خواص الأشجار وغيرها أو من آي القرآن فليس بكفر ، لكن يحرم ما يضر الناس أو يغير عقولهم.

وقال ابن العربي في الأحكام: من أنواع السحر ما يفرق بين المرء وزوجه ، ومنه ما يجمع بينهما ، ويسمى التولة ، وكلاهما كفر.اهـ

وفي القاموس: التولة – كهزة – السحر أو شبهه. وخرزة تحبب معها المرأة إلى زوجها كالتولة كعنبة فيهما.اهـ الضياع.

المقدمة الثالثة
في بيان
الفسق وأنواعه

الفسق: الخروج. من فسق عن أمر الله: خرج من فسقت الركاب عن قصد السبيل. وفسقت الرغبة عن قشرها ، والفأرة عن جحرها.

والفاسق شرعا: الخارج عن أمر الله. قال تعالى: **{ففسق عن أمر ربه"**

أنواعه:

الفسق قسمان: فسق بجارحة نحو: شرب خمر ، أو زنا ، أو سرقة ، ونحوها ، وعليه قوله تعالى: { **وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}** [المائدة: ٤٨]

وفسق في العقائد كالقدري والجبري وغيرهما من أهل الأهواء ، وألحقوا بالفاسق المغتاب. وقال مولانا مُحَمَّد

الحافظ ابن عبد اللطيف المصري الجزائري رضي الله عنه: ومن عادى أولياء الله تعالى فهو فاسق بغير شك. ومن الأولياء الشيخ رضي الله عنه وعنهم جميعا.اهـ قصد السبيل.

وقد قالوا: من صلى خلف فاسق بوجهيه أعاد أبدا. وفي الحديث: "**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**" رواه الشيخان عن ابن مسعود.

قال في مكاشفة القلوب: "والفاسق على نوعين: فاسق كافر، وفاسق فاجر، فالفاسق الكافر هو من لم يومن بالله ورسوله وخرج من الهداية، ودخل في الضلالة كما قال تعالى: {**ففسق عن أمر ربه**} يعني خرج عن طاعة أمر ربه بالإيمان.

والفاسق الفاجر هو الذي يشرب الخمر ويأكل الحرام ويزني ويعصي الله تعالى، ويخرج عن طريق العبادة ويدخل في المعصية ولا ياتي بالشرب.

والفرق بينهما أن الفاسق اﻻالكافر لا يرجى غفرانه إلا بالشهادة والتوبة قبل موته ، والفاسق الفاجر يرجى غفرانه بالتوبة والندامة قبل الموت ، فإن كل معصية أصلها من الشهوة النفسانية يرجى غفرانها ، وكل معصية أصلها من الكبر.

فينبغي لك أن تتوب من ذنوبك قبل الموت رجاء أن يقبلك الله كما قال تعالى: **{وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ}** الآية. [الشورى: ٢٥] يعني يتجاوز عما عملوا بقبوله التوبة. وقال ﷺ: **"التائب من الذنب كمن لا ذنب له"**اهـ

المقدمة الرابعة

في

بيان الظلم وأقسامه

وأخرج البزار عن أنس رفعه: "**الظلم ثلاثة: فظلم لا يغفره الله، فظلم يغفره الله، وظلم لا يتركه، فأما الظلم الذي لا يغفره الله فالشرك {إن الشرك لظلم عظيم} وأما الظلم الذي يغفره الله فظلم العباد لأنفسهم فيما بينهم وبين ربهم، وأما الظلم الذي لا يتركه فظلم العباد بعضهم بعضا حتى يدين الله بعضهم من بعض، فإياكم والظلم فإنه إن دام دمر، والدولة تستقيم مع الكفر، ولا تستقيم مع الظلم، وكثير من المسؤلين جعلوا جهاز الحكم آلة للظلم والطغيان والعدوان** ."اهـ

وقال تعالى: **{وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}** [المائدة: ٤٥] وقال: **{وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ}** [البقرة: ٢٥٤] وقال: **{وَمَنْ**

لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [الحجرات: ١١] وقال تعالى: **{وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ}** [الشعراء: ٢٢٧] وقال: **{وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ}** [هود: ١١٣] وقال ﷺ: **"الظلم ظلمات يوم القيامة"** وقال ﷺ: **"من ظلم شبرا من أرض طوقه الله من سبع أرضين يوم القيامة"** وفي بعض الكتب يقول الله تعالى: **"اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد له ناصرا غيري"** وما أحسن قول بعضهم:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا   فالظلم يرجع عقباه إلى الندم

تنام عيناك والمظلوم منتبه   يدعو عليك وعين الله لم تنم

وقال بعض السلف: لا تظلم الضعفاء فتكون من أشرار الأقوياء. وقال أبو هريرة رضي الله عنه: إن الحبارى لتموت في وكرها من ظلم الظالم. وقيل: مكتوب في التوربة: ينادي مناد من وراء الجسر – يعني الصراط – يا

معشر الجبابرة الطغاة ، ويا معشر المترفين الأشقياء ، إن الله يحلف بعزته أن لا يجاوز هذا الجسر اليوم ظلم ظالم.

وروي عن رسول الله ﷺ: **"خمسة غضب الله عليهم إن شاء أمضى غضبه عليهم في الدنيا، وإلا أمر بهم في الآخرة إلى النار.**

أ. أمير قوم يأخذ حقه من رعيته ولا ينصفهم من نفسه، ولا يدفع الظلم عنهم.

ب. وزعيم قوم يطيعونه ولا يسوي بين القوي والضعيف، ويتكلم بالهوى.

ج. ورجل لا يأمر أهله وولده بطاعة الله ولا يعلمهم أمر دينهم.

ح. ورجل استأجر أجيرا فاستوفى منه العمل ولم يوفه أجرته.

خ. ورجل ظلم امرأة في صداقها.

وعن عبد الله بن سلام رضي الله عنه أنه قال: إن الله تعالى لما خلق الخلق واستووا على أقدامهم رفعوا رؤوسهم إلى الله ، وقالوا: يا رب مع من أنت؟ قال: مع المظلوم حتى يؤدى إليه حقه.

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: يجيء الظالم يوم القيامة حتى إذا كان على جسر جهنم فلقيه المظلوم وعرف ما في ظلمه ، فما يبرح الذين ظلموا بالذين ظلموا حتى ينزعوا ما بأيديهم من الحسنات ، فإن لم يجدوا لهم حسنات حملوا عليهم سيئاتهم مثل ما ظلموا حتى يردوا الدرك الأسفل من النار.اهـ مكاشفة القلوب.

والظلم: وضع الشيء في غير محله.

منها: مطل الغني. وفي الحديث: "**مطل الغني ظلم**"

ومنها: أخذ غير مجرم بمجرم. قال:

الظلم من شيم النفوس وإن تجد ذو عفة فلعله لا يظلم

ظلم النفس، منها:

١. ترك الصلة لحق الله ورسوله والوالدين والمسلمين في دعائه وترك أكثر العباد فيها **{وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ}** [مُحَمَّد: ٣٨]

٢. **{إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ}** [يونس: ٢٣]

٣. ومنها نكث العهد. **{فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ}** [الفتح: ١٠]

٤. ومنها نسيان حق الله سبحانه وتعالى: **{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ}** [الحشر: ١٩]

٥. ومنها الغفلة عنه **{وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ}** [الأعراف: ٢٠٥]

٦. ومنها أمر الناس بالبر ونسيان النفس **{أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ}** [البقرة: ٤٤]

٧. ومنها الإعراض عن ذكر الله ، أو نسيان القرآن بعد الحفظ ، قال تعالى: **{وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا}** [طه: ١٢٤]

٨. ومنها تضييع الصلاة ، **{فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا}** [مريم: ٥٩]

٩. ومنها عدم أداء الزكاة **{وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}** [التوبة: ٣٤]

١٠. ومنها متابعة من أغفل الله قلبه **{وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا}** [الكهف: ٢٨] إن الهوى لهو الهوان بنفسه.

١١. ومنها الرياء. قال تعالى: **{الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ، وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ}** [الماعون: ٦ — ٧]

١٢. ومنها الحسد ، إن الحسود لا يسود ، ما أشبه الظالم بالمظلوم مثل الحاسد.

١٣. ومنها الغيبة والنميمة، والحسد تأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

١٤. ومنها الكبر.

١٥. ومنها الحرص.

١٦. ومنها الغش، في الحديث: "**من غشنا فليس منا**"

١٧. ومنها عدم تعلم فروض العلم. قال تعالى: **{مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ}** [الجمعة: ٥]

ومن على ترك التعلم استمر فهو كلب أو حمار أو أشر

١٦. ومنها التقدم في حضرة من هو أعلم منه.

١٧. ومنع المساجد أن يذكر فيها. قال تعالى: **{وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ}** الآية [البقرة: ١١٤]

١٨. ومنها الظلم في الحرم الشريف المكي والمدني لقوله: **{وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ}** [الحج: ٢٥]

١٩. ومنها الأشهر الحرم لقوله تعالى: **{إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ}** [التوية: ٣٦]

اعلم أن المعصية تغلظ بالزمان والمكان باعتبار الإثم والأدب عليها ، وإن الطاعة تعظم بذلك أيضا.

المقدمة الخامسة

في بيان النفاق

والمنافق اشتقاقه في اللغة من نافقاء اليربوع. ويقال: إن لليربوع حجرتين: إحدىهما النافقاء ، والأخرى القاصعاء ، فيظهر نفسه في إحدىهما ويخرج من الأخرى ، ولهذا سمي المنافق منافقا ، لأنه يظهر من نفسه أنه مسلم ، ويخرج من الإسلام إلى الكفر.

وفي الحديث: **"مثل المنافق كمثل الشاة ترعى بين القطيعتين من الغنم، تارة تسير إلى هذا القطيع، وتارة إلى هذا القطيع، ولا تسكن لواحد منهما"** لأنها غريبة ليست منهما ، وكذلك المنافق لا يستقر مع المسلمين بالكلية ولا مع الكافرين. قال ﷺ: **"آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان"** وفي الحديث: **"إن المومن يرى ذنوبه أنه مثل جبل عليه، والمنافق يرى ذنوبه كذباب"**

وسئل رسول الله ﷺ عن المومن والمنافق فقال:

"إن المومن همه في الصلاة والصيام، والمنافق همه في الطعام والشراب كالبهيمة، وترك العبادة والصلاة، والمومن مشغول بالصدقة وطلب المغفرة، والمنافق مشغول بالحرص والأمل، والمومن آيس من كل أحد إلا من الله، والمنافق راج كل أحد إلا الله، والمومن يقدم ماله دون دينه، والمنافق يقدم دينه دون ماله، والمومن آمن من كل أحد إلا من الله، والمنافق خائف من كل أحد إلا الله، والمومن يحسن ويبكي، والمنافق يسيء ويضحك، والمومن يحب الوحدة والخلوة، والمنافق يحب الخلطة والملأ، والمومن يزرعويخشى الفساد، والمنافق يقلع ويرجو الحصاد، والمومن يأمر وينهى سياسة دينية ويصلح، والمنافق يأمر وينهى رياسة ويفسد، بل يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف، كما قال تعالى: {الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ

أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٧) وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ} [التوبة: ٦٧ – ٦٨] وقال تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا}** [النساء: ١٤٠] الآية. يعني إن ماتوا على كفرهم ونفاقهم فبدأ بالمنافقين لأنهم شر من الكفار، وجعل مأواهم جميعا النار. وقال تعالى: **{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا}** [النساء: ١٤٥] الآية.

وهو الزيديق اليوم، وهو الذي يستر الكفر ويظهر الإسلام، وهو المنافق في زمن النبوة.

المقدمة السادسة
في بيان الردة

الردة: بكسر الراء من الارتداد ، وهو الرجوع عن دين الإسلام إلى دين الكفر. والعياذ بالله. قال تعالى: { **وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**} [البقرة: ٢١٧]

وفي الحديث عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ: إلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالتَّارِكُ لِدِينِهِ الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ**". رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وأسبابها كثيرة ، منها قولية وفعلية ، وهي قليلة.

أما القولية فقال في بدء الآمال:

ولفظ الكفر من غير اعتقاد   بطوع رد دين باغتفال

يعني أن لفظ الكفر من غير اغتفال أو إكراه رد دين باغتفال البال للملابسة أي حال كونه ملتبسا بالغفلة عن ذلك المرام.

قال الله تعالى: {**إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**} [النحل: ١٠٦]اهـ

وإلى القسمين أشار في مختصر خليل رحمه الله: "الردة كفر المسلم بصريح أو لفظ يقتضيه أو فعل يتضمنه كإلقاء مصحف بقذر وشده زنارا وسحر ، وقول بقدم العالم أو بقائه ، أو شك في ذلك ، أو بتناسخ الأرواح ، أو بقوله في كل جنس نذيرا ، أو ادعى تبركا مع نبوته عليه السلام ، أو بمحاربة نبي ، أو جوز اكتساب النبوة ، أو ادعى أنه يصعد ، أو يعانق الحوراء ، أو استحل كالشرب ، لا بإماتة الله كافرا على الأصح ، وفصلت الشهادة ، واستتيب ثلاثة بلا جوع وعطش ومعاقبة وإن لم يمت وإن تاب وإلا قتل.اهـ

المقدمة السابعة

في بيان البدعة

هي ما خالف الكتاب والسنة وسبيل العلماء العالمين. قال تعالى: **{وَمَا آَتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}** [الحشر: ٧] وقال تعالى: **{وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}** [النساء: ١١٥]

اعلم أن البدعة قسمها العلماء خمسة أقسام كأحكام الشرع: واجبا ومندوبا وجائزا ومكروها ومحرما.

١. فما كان عونا في البر ووسيلة إلى الخير ، وعونا على تبليغ رسالة النبي ﷺ ، وإقامة شرائع الإسلام ألحقوه بالواجب.
٢. وما كان وسيلة إلى الخيرات ألحقوه بالمندوب.
٣. وما كان ليس فيه مضرة للدين ألحقوه بالقسم الجائز.

٤. وما فيه إماتة سنة ألحقوه بالمكروه.
٥. وما فيه ضلالة ألحقوه بالحرام.

وهذه الأشياء المحدثة في العصر الحاضر إن لم نلحقها بالواجب فلا أقل من إلحاقها بالمندوب.

فإن العلماء جعلوا كتب المصاحف ونصب المدارس لنشر العلم، وكتب الحديث، وطبع الكتب بالمطبعة المحدثة، وطبع المصاحف من الواجب والمندوب.

وقد حدث في الزمن الحاضر هذه المسجلات والمكبرات والإذاعات وفيها وسيلة وعون على نصرة الدين.

ألا ترى الحجاج الذين يزداد عددهم في كل عام والحمد لله كيف أمكنهم الاجتماع لصلاة الجماعة خلف إمام واحد بسبب المكبرات التي حدث في المسجد الحرام.

فالوسيلة إلى الطاعة طاعة ، وقد رأينا كيف صارت هذه السفن وهذه السيارات والطائرات والموصلات التلفونيات وغيرها عونا للمسلمين على دينهم ، والأعمال بالنيات ، والمومن يلتمس أحسن المخارج ، والعلماء مكلفون بالتيسير والتبشير بقوله عليه الصلاة والسلام: "**يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا**" وما عمت به البلوى يلتمس له وجه شرعي ، وأمة النبي ﷺ لا تجتمع على ضلالة.

انقسام البدعة إلى اعتقادية وفعلية:

اعلم أن البدعة الفعلية كل ما زاد على السنة أو ما خالف السنة ، أو ما عارض السنة ، وهي كل محدثة.

المحدثات ضربان: ما أحدث يخالف كتابا أو سنة أو أثرا أو إجماعا ، فهي هذه بدعة الضلالة ، وكل ضلالة في النار ، وفيه: "**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد عليه**"

وما أحدث من الخير لا يخالف شيئًا من ذلك فهي محدثة غير مذمومة ، فيلحق بالسنة. وفي الحديث: "**من سن سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجرهم شيئًا**" الحديث.

والبدعة القولية الاعتقادية هي ما خالف مذهب أهل السنة والجماعة ، وعليه قول إمامنا مالك بن أنس لمن سأله عن الاستواء بقوله: الاستواء معلوم والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة فأخرجوه عني. أو كما قال.

وإليك تفصيلها:

وأما البدعة الفعلية فقد قال في تعليق الفوائد لأحد تلاميذ الشيخ مُحَمَّد المنير وهو الشناوي الخلوتي:

الفصل الأول في البدعة وأصلها ، واشتقاقها ، وما يذم منها وما يحمد ، وبيان فرق أهل البدعة المذمومة ، وأسمائها ، وسبب تبدعها.

والبدعة من البدع أي اخترع ما لم يسبق مثاله ، ومنه {**بديع السموت والأرض**} قاله ابن حجر.

وقال المفسرون في هذه الآية: أي موجدهما ومنشئهما ومبدعهما من غير مثال سبق. وقال الكواشي: ومنه البدعة أي اشتقاقها. وقال الإشبيلي رحمه الله في شرح الأربعين:

اعلم أن المحدث على قسمين: محدث ليس له أصل في الشريعة فهذا باطل مذموم ، ومحدث يحمل النظر فهذا ليس بمذموم ، لأن لفظ المحدث ولفظ البدعة لا يذمان لمجرد الإسم ، بل للمعنى المخالف للسنة ، والداعي إلى الضلالة ، ولا يذم ذلك مطلقا. فقد قال تعالى: {**وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ**} [الشعراء: ٥] وقال عمر: نعمت البدعة هذه. يعني التراويح.انتهى.

ومنه له عليه السلام: **"من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة"** وقال الشيخ أبو الحسن في قول الشيخ أبي مُحَمَّد رحمه الله: وترك ما حدثه المحدثون ما ذكره هنا لا يعارضه قوله: تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور. لأن ما هنا محمول على ما يستند إلى واحد منها. وقال صاحب الروضة في قوله عليه الصلاة والسلام: **"من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"** يعني من أحدث ابتدأ من رأيه وتلقاء نفسه أمرا يزعم أنه يتدين به لهواه، وليس لذلك الشيء الذي أحدثه في ديننا مستند، لا ظاهرا منصوصا عليه ولا باطنا مستنبطا من أصول الدين يرجع ويكون إليه فهو رد أي مردود عليه. وقال بعض شيوخنا الإمام القدوة العلامة مجتهد عصره، إبراهيم اللقاني رحمه الله تعالى في كتابه منار أصول الفتوى وقواعد الإفتاء بالأقوى: ومن الجهلة من يجعل كل أمر لم يكن في زمن الصحابة رضي الله عنهم بدعة. (قلت كمؤلف

العقيدة) وإن لم يقم دليل على قبحه تمسكا لقوله عليه الصلاة والسلام: "**إياكم ومحدثات الأمور**" ولا يعلمون أن المراد بذلك هو أن يجعل في الدين ما ليس منه ، ولا دل دليل شرعي عليه.انتهى.

وقال ابن الفاكهاني في شرح الرسالة: وهي منقسمة إلى حسنة وقبيحة ومباحة ، وحسنها ينقسم إلى واجب ومندوب ، وقبيحها ينقسم إلى محرم ومكروه ، وإذا أردت أن تعرف حكم البدعة فاعرض مصلحتها على المصالح المطلوبة شرعا فإن كانت واجبة فالبدعة واجبة ، وإن كانت مندوبة فالبدعة مندوبة ، ويعرض فساد البدعة القبيحة على المفاسد المنهي عنها فإن ساوت مفاسد المحرم أوردت إليه فهي محرمة ، وإن ساوت مفاسد المكروه فهي مكروهة ، وما ساوى من البدع مصالح المباح فهو مباح ، فمثال الواجب تعليم أصول الفقه ، وأصول الدين ، والأقيسة والآلات المرضية لإلحاق الأصول بالفروع ، وتعليم العربية واللغة اللتين

يتوقف عليهما فهم الشرع وكتابه، ذلك حفظا له، وكذلك الرد على المبتدعة وكتابة ذلك، وكذلك الجرح والتعديل.

وأما أمثلة المندوبة فكإحداث الربط والمساجد والمدارس.

وأما البدعة المحرمة فكالإرجاء والاعتزال والرفض ووضع المكوس وتضمين الخمور والبغايا.

وأما المكروهة فكتطويل الثياب وتوسيعها والمبالغة في إغلاء أثمانها وقيمتها وتزيين الخيول والدواب في غير القتال.

وأما مثال المباح فكالتوسيع في المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمراكب. قلت: اهـ المراد منه. وقد أشبع الكلام في هذا الموضوع جزاه الله تعالى خيرا، وإنما جلبت لكم هذا المنصوص في خصوص البدعة لأن أكثر كلامه في هذا الكتاب راجع إلى

الكلام على البدعة ، ولا يعرف ما هو البدعة عند أهل السنة والجماعة ، فإذا فهمت البدعة يتضح لك فساد قوله هو وأشباهه من الوهابية ، هدانا الله وإياهم المولى.اهـ

أصول البدعة:

وفي الحديث: "**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة**" قالوا: وما تلك الواحدة ؟ قال: "**ما أنا عليه وأصحابي**" فكان ذلك من معجزاته ﷺ حيث أخبر به.

واعلم أن أصول البدعة كما في شرح الأربعين النووية للفقيه علي بن السلطان مُحَّد الحنفي سبعة:

١. المعتزلة القائلون بأن العباد خالفوا أعمالهم، وينفون رؤية الباري جل وعلا، وهم عشرون فرقة.
٢. والشيعة المفرطون في محبة علي رضي الله عنه، وهم اثنان وعشرون فرقة.
٣. والمرجئة القائلون بأنه تضر لا تضر معصية مع الإيمان كما لا ينفع مع الكفر طاعة، وهم خمس فرق.
٤. والخوارج المفرطون في بغض علي رضي الله عنه المكفرة له ولمن أذنب كبيرة، وهم عشرون فرقة.
٥. والنجارية الموافقة لأهل السنة في خلق الأفعال والمعزلة ونفي الصفات في نفي الكلام، وهم ثلاث فرق.
٦. والجبرية القائلون بسلب الإختيار عن العبد، وهم فرقة.

٧. والمشبهة الذين يشبهون الحق بالخلق في الجسم والحلول ، وهم فرقة أيضا.

فتلك اثنان وسبعون فرقة ، والفرقة الناجية وهم أهل السنة البيضاء.اهـ منه.

قلت: وقد ذكر في كتاب خبيئة الأكوان في افتراق الأمم على المذاهب والأديان للسيد مُحَمَّد صديق خان بهَادِرْ ملِك مملكة بَهُوبَالِ ، ذكر كل فرقة برئيسها ، وما هي عليه من الاعتقاد ، فليراجع ذلك الكتاب من أراده.اهـ تنبيه الأغبياء لأبي الأسرار الشيخ الحاج أبي بكر عتيق بن خضر الكشناوي الكنوي التجاني رضي الله عنه وأرضاه. وعن شيخ الإسلام وسعادة الأنام ،مولانا الشيخ إبراهيم بن الحاح عبد الله انياس: لما سمع الصحابة هذا الحديث: "**افترقت اليهود**" الخ خافوا جدا ، فقال لهم النبي صلى اللله عليه وسلم: "**تسعمائة (وتسعة) وتسعون في ياجوج وماجوج، وواحد منكم**"

المقدمة الثامنة

في بيان العادة

تنقسم العادة على قسمين: عادة محرمة ... وعادة مستحيلة بل كالبدعة. الناس على دين ملكهم ، ومنها آثر من تقدم على غير علم ودين. قال تعالى عن: { **إِنَّا وَجَدْنَا آَبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آَثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ**} والتقليد الأعمى ، ومنها ذبائح الجن.

وفي جامع الصغير: "**نهى عن ذبائح الجن**" قال في النهاية: كانوا إذا اشتروا دارا أو استخرجوا عينا أو بنوا بنيانا ذبحوا ذبيحة مخافة أن يصيبهم الجن فأضيفت الذبائح إليهم لذلك ، نقله العزيزي. ولذا أخبرني بعض الإخوان رحمه الله ورضي عنه أنه لما أراد أن يشرع في بناء دار قال له المعلم على العادة: احتجنا لإهراق الدم أولا؟ فقال له: قل بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ أول كل شيء فهو خير لك من إهراق الدم والعادة وأهلها في

النار ، ولما كملها طلب منه مثل ذلك وأن يجعل فيها نزهة ، فأبى وقال: التصدق على مسكين بكسرة أفضل من ذلك. فاعلم ذلك واعمل عليه **{وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}**.اهـ الدرة جـ ٣ ، صـ ٨٢

قال الله الحكيم: **{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}** [آل عمران: ٦٤] **{ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ}** [يوسف: ١٠٨]. انظر إحياء السنة للشيخ عثمان فودي.

فصل في الغفلة عن الله سبحانه وتعالى:

وقال تعالى: {**وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ**} [الأعراف: ٢٠٥] والغفلة عن الله تعالى هو الميل عنه إلى متابعة الهوى .

إن الهوى ما تولى يصم أو يصم

إن الهوى لهو الهوان بعينه فإذا هويت فقد بقيت مهانا

قال تعالى: { **وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**} [ص: ٢٦] وقال شيخ الإسلام ، وسعادة الأنام مولانا الشيخ إبراهيم بن الحاج عبد الله التجاني الكولخي رضي الله عنهما وعنا بهما آمين كما في رسالة الوصية الجامعة ، والحكم النافعة ، كتبها إسعافا لما طلبها منه بعض المريدين الصادقين ، والمحبين الوامقين: وإياكم والغفلة عن الله لأنها رأس كل خطيئة. ويروى أنه "**ما من صيد يصاد، ولا شجر يقطع إلا بغفلتها عن ذكر الله، لأن السارق لا يسرق بيتا وأهلها أيقاظ، بل على غفلة ونوم**"

وفي جامع الصغير: "**الغفلة في ثلاث عن ذكر الله، وحين يصلي الصبح إلى طلوع الشمس، وغفلة الرجل عن نفسه في الدين حتى يركبه**" وروي أن رسول الله ﷺ كان إذا آنس من أصحابه غفلة نادى فيهم: "**أتتكم المنية راتبة لازمة، إما بشقاوة وإما بسعادة**" ورحم الله من قال:

والناس في غفلة عما يراد بهم فجلهم عن سبيل الحق رقاد

قال العالم العامل، أستاذ الشريعة، عين أعيان الأئمة، الشيخ أبو حامد الغزالي رحمه الله في كتابه مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب:

"الغفلة تزيد الحسرة، الغفلة تزيل النعمة، وتحجب عن الخدمة، الغفلة تزيد الحسد، الغفلة تزيد الملامة والندامة، حكي أن بعض الصالحين رأى أستاذه في المناخ فسأله أي الحسرة أعظم عندكم؟. فقال: حسرة الغفلة. وأن بعضهم رأى ذا النون المصري في منامه فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: أوقفني بين يديه. وقال

لي: يا مدعي يا كذاب ادعيت محبتي ثم غفلت عني ، أنت في غفلة وقلبك ساه ، ذهب العمر والذنوب كما هي.

حكي أن رجلا من الصالحين رأى والده في منامه ، فقال: يا أبت كيف أنت ؟ وكيف حالك ؟ فقال له: يا لدي عشنا في الدنيا غافلين ومتغافلين.

وفي زهر الرياض: كان يعقوب عليه السلام مؤاخيا لملك الموت فزاره فقال له يعقوب: يا ملك الموت أزائرا جئت أم قابضا روحي ، قال: بل زائرا. قال: فإني أسألك حاجة. قال: وما هي ؟ قال: أن تعلمني إذا دنا أجلي ، وأردت أن تقبض روحي. فقال: نعم أرسل إليك رسولين أو ثلاثة ، فلما انقضى أجله ، أتى إليه ملك الموت. فقال: أزائرا جئت أم لقبض روحي ؟ فقال: لقبض روحك. فقال: أو لست أخبرتني أنك ترسل إليّ رسولين أو ثلاثة. قال: قد فعلت ، بياض شعرك بعد سواده ، وضعف بدنك بعد قوته ، وانحناء جسمك بعد استقامته ، هذه رسلي يا يعقوب إلى بني آدم قبل الموت.

مضى الدهر والأيام والذنب حاصل　　وجاء رسـول الموت والقلب غافل
نعيمك في الـدنيـا غرور وحسـرة　　وعيشـك في الدنيا محال وباطل

قال علي الدقاق: دخلت على رجل صالح أعوده وهو مريض ، وكان من المشايخ الكبار وحوله تلاميذه وهو يبكي وقد أرذل العمر ، فقلت له: أيها الشيخ مما بكاؤك ؟ أعلى الدنيا ؟ فقال: كلا بل أبكي على فوت صلاتي. فقلت: وكيف ذلك ، وقد كنت مصليا. قال: لأني قد بقيت إلى يومي هذا وما سجدت إلا في غفلة ، ولا رفعت رأسي إلا في غفلة ، وها أنا أموت على الغفلة ثم تنفس الصعداء. وأنشد يقول:

تفكرت في حشري ويوم قيامتي　　وإصـباح خلق في المقابر ثاويا
فـريـدا وحـيـدا بـعـد عـز ورفـعـة　　رهينـا بجرمي والتراب وسـاديـا
تفكرت في طول الحسـاب وعرضـه　　وذل مقـامي حين أعطى لحـابيـا
ولكن رجـائي فيـك ربي وخـالقي　　بـإنـك تعفو يـا إلهي خطـائيـا

وفي عيون الأخبار: ذكر عن شقيق البلخي أنه قال: الناس يقولون ثلاثة أقوال وقد خالفوها في أفعالهم يقولون: نحن عبيد الله وهم يعملون عمل الأحرار ، وهذا خلاف قولهم ، ويقولون إن الله كفيل بأرزاقنا ولا تطمئن

قلوبهم إلا بالدنيا وجمع حطامها ، وهذا أيضا خلاف قولهم ويقولون: لا بد لنا من الموت وهم يعملون أعمال من لا يموت ، وهذا أيضا خلاف قولهم فانظر بنفسك يا أخي بأي بدن تقف بين يدي الله تعالى ، وبأي لسان تجيبه وما تقول إذا سألك عن القليل والكثير فأعد للسؤال جوابا ، وللجواب صوابا. **{واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون}** أي من الخير والشر ، ثم وعظ المومنين بأن لا يتركوا أمره ، وبأن يوحدوه في السر والعلانية. جاء في الخبر عن النبي ﷺ أنه قال: مكتوب على ساق العرش أنا مطيع من أطاعني ، ومحب من أحبني ، ومجيب من دعاني ، وغافر لمن استغفرني. فينبغي للعاقل أن يطيع الله الخوف والإخلاص في طاعته ، والرضا بقضائه ، والصبر على بلائه ، وبالشكر على نعمائه ، والقناعة بإعطائه ، يقول الله تعالى: **"من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي، ولم يشكرني على نعمائي ولم يقنع بإعطائي فليطلب ربا سوائي"**

وقال رجل للحسن البصري رحمه الله: إني لا أجد للطاعة لذة. فقال له: لعلك نظرت في وجه من لا يخاف الله ، العبودية أن تترك الأشياء كلها لله. وقال رجل لأبي يزيد رحمه الله: إني لا أجد للطاعة لذة. فقال: لأنك تعبد الطاعة لا تعبد الله ، اعبد الله حتى تجد للطاعة لذة.

حكي أن رجلا دخل في الصلاة فلما انتهى إلى قوله: **{إياك نعبد}** خطر بباله أنه عابد لله في الحقيقة فنودي في السر كذبت إنما تعبد الخلق ، فتاب واعتزل الناس ، ثم شرع في الصلاة فلما انتهى إلى قوله: **{إياك نعبد}** نودي كذبت إنما تعبد مالك ، فتصدق بماله كله ، ثم شرع في الصلاة فلما انتهى إلى قوله **{إياك نعبد}** نودي كذبت إنما تعبد ثيابك فتصدق بها إلا ما لا بد منه ثم شرع فيها ، فلما انتهى إلى **{إياك نعبد}** نودي الآن صدقت إنما تعبد ربك.

وفي رونق المجالس: ضاع لرجل جوالق فلم يدر من أخذه منه فلما دخل في الصلاة تذكره ، فلما سلم قال لغلامه: اذهب إلى فلان ابن فلان واسترد منه.اهـ

ولا بد من رفع الهمة عن الخلق ، لأن ذلك سيمة أهل التحقيق.اهـ المراد منها. رحم الله من قال:

لكل شيء إذا فارقته عوض فليس لله إن فارقت من عوض

وقال بعض العارفين: فلو كلفت أن أرى غيره ما استطعت. وكلام العارفين في هذا المعنى كثير.

ورحم الله من قال:

الله يعلم أني لست أذكره فكيف أذكره إذ لست أنساه

ومن قال:

ولو خطرت لي في سواك إرادة على خاطري يوما حكمت بردة

ما يخرج عن الغفلة:

قال ﷺ: **"من استغفر الله في كل يوم سبعين مرة لم يكتب من الكاذبين، ومن استغفر في كل ليلة سبعين مرة لم يكن من الغافلين"** رواه ابن السني عن السيدة عائشة رضي الله عنها وعنا بها آمين.

وعن زيد بن أسلم قال سمعت عبد الله بن عمر يقول لأبي ذر أوصني يا عم ، قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما سألتني فقال: **"من صلى الضحى ركعتين لم يكتب من الغافلين"** الحديث.

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **"من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف كتب من المقسطين"** رواه أبو داود وغيره.

فصل بيان أنواع الذنوب

اعلم أن الذنب وإن كان أنواعا متعددة مذكورا في القرآن والسنة بألفاظ متفرقة فإن اسم الذنب يجمعها. قال تعالى: { **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ**} [الزمر: ٥٣] وقال تعالى: {{**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**} [النساء: ٤٨]

تقسيم الذنوب:

قال في القوانين الفقهية:

"وتقسم الذنوب أيضا إلى قسمين: ذنوب بين الله تعالى وبين العبد ، فإذا تاب منها توبة صحيحة غفر الله له ، وذنوب بين العبد وبين الناس فلا بد فيها مع التوبة من إنصاف المظلوم وإرضاء الخصوم ،

وهي أربعة أشياء في الدماء والأبدان والأموال والأعراض ، وتقسم أيضا قسمين: وقوع في المحرمات ،

وتفريط في الواجبات، ولا بد في هذا من القضاء والاستدراك لما فات.اهـ

أنواع الذنوب التي تجب التوبة منها:

قال ابن جزي رحمه الله في القوانين الفقهية:

"فصل الذنوب التي تجب التوبة منها نوعان: كبائر وصغائر، وتغفر الصغائر باجتناب الكبائر.

وقد اختلف الناس في الفرق بينهما احتلافا كثيرا، والأقرب إلى الصواب أن الكبائر هي: ما ورد النص على أنها كبائر، أو ورد عليها وعيد في القرآن أو في الحديث. وقال بعضهم: الكبائر سبعة عشر.

أربعة في القلب، وهي الإشراك والإصرار على الذنوب، والأمن من عذاب الله، واليأس من رحمة الله.

وأربعة في اللسان، وهي: السحر، والقذف، واليمين الغموس، وشهادة الزور.

وثلاثة في البطن ، وهي: شرب الخمر ، وأكل الربا ، ومال اليتيم.

واثنان في الفرج ، وهما: الزنا ، وفعل قوم لوط.

واثنان في اليدين ، وهما: القتل وأخذ المال بغير حق.

وواحد في الرجلين ، وهو الفرار من القتال.

وواحد في جميع الجسد ، وهو عقوق الوالدين.اهـ

المقصد الأول
في بيان مقامات الدين الثلاث
الإسلام ومفتاحه:

الإسلام كما قال في حديث جبريل عليه السلام. وقال: يا مُحَمَّد أخبرني عن الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّدا رسول الله، وتقيم الصلاة وتوتي الزكاة وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استعطت إليه سبيلا**" قال صدقت. وقال ﷺ: "**الإسلام يجب ما قبله**"

قال شيخ الإسلام ، وسعادة الأنام ، مولانا الشيخ الحاج إبراهيم بن الحاج عبد الله الكولخي التجاني رضي الله عنه وعنا به آمين: فمفتاح الإسلام لا إله إلا الله ، وهي كذلك مفتاح الجنة ، ومن أبى أن يقر بالشهادتين فهو كافر. ومن أقر ببعض ما تضمنتا ، وأبى أن يقر ببعض فهو كافر.

فالإيمان هو التصديق ، والكفر التكذيب ، تكذيب القرآن ، أو تكذيب النبي قولا أو فعلا ، أما من ارتكب محرما وهو مقر فلا يكفر ، ويجب عليه التوبة **{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}** [النساء: ٤٨]

والتوبة مقبولة قطعا ، فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له ، وشرطها الندم والإقلاع ونية أن لا يعود. **{إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ}** [البقرة: ٢٢٢]

ثم قال: أيها الإخوة إن الإقرار بالشهادتين هو أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحَمَّدا رسول الله ، ثم الخضوع للشريعة الإسلامية بعبادة الله تعالى دون إشراك. ، فالله المعبود هو بارئ هذا الوجود بعلمه بلا بداية ، والباقي بلا نهاية ، هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم.اهـ

"**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَكْذِبُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ**

ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ" رَوَاهُ مُسْلِمٌ **"سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر"** رواه الشيخان عن ابن مسعود.

وقال ﷺ: **"من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة لقي الله مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله تعالى"** رواه الإمام أحمد وابن ماجه. وفي إسناده مقال كما قاله الذهبي.

وفي الحديث: **"لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مسلم" "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمومن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه"** رواه أحمد عن أبي هريرة.

أي المسلم الحقيقي هو الذي يوافق قلبه لسانه ، وينقاد لربه بقلبه وجوارحه ، وسلم الناس من شره.

فصل في مراتب الإسلام:

قال تعالى: **{وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآَخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}** [آل عمران: ٨٥] وقال: **{إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ}** [آل عمران: ١٩]

وقال رضي الله عنه وعنا به: الإسلام دين واحد، لكن الإسلام على مراتب:

{إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} [آل عمران: ١٩]

١. فمرتبة الأدنى تحلت في كل ذرة في الوجود.
٢. والثانية: القيام بمقتضى عالم الناسوت.
٣. والثالثة للصديقين.

ولكل مقام مقال، ولكل حال رجال، وللطريقة ما للإسلام سواء بسواء، ومن جعل الناس سواء ليس لحمقه دواء.

وفي عبارة: ومن الإسلام عام، وخاص، وخاص خاص.

١. فعامه لم تخل ذرة من الاتصاف به وهو الجريان على مراد الحق.
٢. وخاصه: القيام بمقتضى الخطاب التكليفي في عالم الناسوت.
٣. وخاص خاصه، وهو عين الصديقية.اهـ المراد.

فصل في الإيمان الكامل على الصحيح:

كما في حديث جبريل عليه السلام أيضا: وقال: فأخبرني عن الإيمان. قال: "**أن تؤمن بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**" قال: صدقت. رواه مسلم عن عمر.

وفي الحديث: "**المومن أخو المومن لا يدع نصيحته على كل حال**" رواه ابن النجار.

الإيمان معرفة بالقلب وقول باللسان وعمل بالأركان. رواه الطبراني.

قال شيخ الإسلام رضي الله عنه وعنا به آمين: فالإيمان هو التصديق، والكفر هو التكذيب، تكذيب القرآن أو تكذيب النبي قولا وفعلا، أما من ارتكب محرما وهو مقر فلا يكفر، ويجب عليه التوبة {**إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**} [النساء: ٤٨]

فصل: المومن الكامل أفضل من غيره:

المومن قسمان: مومن ناقص ، ومومن كامل.

فالكامل وهو المومن حقا ، من كملت فيه شعب الإيمان البضع والستين شبعة كما في الحديث: "**الإيمان بضع وستين أو سبعين شعبة، أعلاها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن طريق المسلمين**" أو كما قال. وهي كما قال العلامة المدقق ، والعارف المحقق ، أبو مُحَمَّد الشيخ عبد الله فودي تغمده الله في رحمته آمين كما في منن المنان لمن أراد شعب الإيمان:

مسألة في شعب الإيمان:

والمومن الكامل في الإيقان   من قد أتم شعب الإيمان
وعدها بضع يلي ستين أو   سبعين هكذا على الشك رووا
أولها الإيمان بالإله   وبصفاته ورسل الله
ملئك وكتبه والقدر   واليوم الاخر كما في الخبر
محبة الله مع النبي مع   حب وبغض في الإله قد لمع
تعظيمنا لسيد السادات   فيه صلاتنا عليه تاتي
وفي اتباع سنة الرسول   كمال إيمان ونيل السول

وهـكـذا الإخـلاص لـلـخـلاق ترك الـريـاء فـيـه والـنـفـاق
والـخـوف والـتـوبـة والـرجـاء والشكر والصبر الرضى الحياء
كـذلـك الـوفـاء بـالـعـهـود وهـكـذا إقـامـة الـحـدود
تـوكـل ورحـمـة لـلـخـلـق وهـكـذا تـواضـع لـلـحـق
وفيـه تـوقير الـكـبير يـاتي ورحـمـة الصـغير بـالبتـات
وفيـه ترك كبرنـا والعجب وترك حقد حسـد والغضب
والنطق بـالتوحيد من إيمـان وهـكـذا تـلاوة الـقـرآن
تـعـلـم الـعـلـم كـذا تـعـلـيـمـه كـذا الـدعـاء واعتقـد تعظيمـه
وذكرنـا وفـيـه الاسـتـغـفـار مع اجتنـاب اللغو والاطهـار
حسـا وحكمـا فيـه اجتنـاب نجـاسـة ومن يطع يثـاب
وسـترنـا الـعـورة والصـلاة فـرضـا ونـفـلا وكـذا الـزكـاة
والـحـج والـعـمـرة والـطـواف وهكـذا الصـيـام الاعتكـاف
وهكـذا التمـاس ليلـة القـدر مـن الأخـيـر والـوفـا بـالـنـذر
فك الرقاب الجود والسـماحة وفيـه إطعـامـك والضـيـافـة
فـرارنـا بـديـنـنـا بـالـحـق وفـيـه تـركـنـا بلاد الفسـق
وحفظ الايمـان كـذا التعفف أخـي بـالـنـكـاح ذاك يـعـرف
قيـامنـا بـالحق من نعول وبـرنـا لـلـوالـديـن سـول
أداء كـفـاراتـنـا وتـربـيـه أولادنـا بـذاك نعطى عـاليـه
وطاعة السـادات وصـل الرحم وأبـذلـن الـجـهـد فـيـه تـرحـم
والرفق بالمملوك هكذا القيام بالعدل في الإمرة ردنا السـلام
طـاعـتـنـا جـا لـولاة الأمـر وهـكـذا إكـرامـنـا لـلـجـار

وهكذا الإصـــلاح بين النـاس		وكن لكـل كـالأخ المـواســـي
قتـل البغـات فيـه والخوارج		ومـنّ ربـنـا الـكـريـم نـرتـج
وهـكـذا تـعـاون فـي الـبـر		وفيـه أمر العرف نهي النكر
كـذلـك اتبـاعـنـا الجـمـاعـه		وهــكــذا أداؤنــا الأمــانــه
فـيـهـا خـمـيس مغـنـم أداؤه		وهـكـذا الـفـرض كـذا وفـاؤه
كذا الجهاد فيـه جا المرابطـه		كذاك إحســـانك بـالمعاملـه
وفيـه جمع مـالنـا من حلـه		إنــفــاقــه لله فــي مــحــلــه
وتـرك تبـذيـر مع الإســـراف		يدخل فيه دمْ على الإنصــاف
تشـــميت عاطس وكف التعب		عن العبـاد واجتنـاب اللعـب
إمـاطـة الأذى عـن الـطـريـق		فهـاكهـا منظـومـة صـــديقي

فصل في الإحسان / الإخلاص:

قال تعالى: **{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ}** [يونس: ٢٦] وقال تعالى: **{ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا}** [الملك: ١ – ٢] وقال تعالى: **{ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ}** [البينة: ٥]

وقال ﷺ: **"الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، إن لم تكن تراه إنه يراك"** وهو سر بين الله وبين العبد لا يعلمه إلا الله. وعن شيخ الإسلام: الناس على أربعة أقسام:

١. السيء: من عقد الدنيا في قلبه ، وعمل عمل الدنيا فهو كافر.
٢. والأسوأ: من عقد الدنيا في قلبه وعمل عمل الآخرة فهو منافق.
٣. والحسن: من عقد الآخرة في قلبه وعمل عمل الآخرة فهو مومن.

٤. والأحسن: من ليس في قلبه شيء إلا الله تبارك وتعالى.

مراتبه:

١. **الإخلاص:** سر بين الله وبين العبد لا يعلمه ملك فيكتبه ، ولا شيطان فيفسده ، ولا هوى فيميله.
والإخلاص: أن تعمل جميع المأمورات لوجه الله الكريم ، ويترك المنهيات كذلك.

٢. **والإخلاص** من العمل الذي لا يريد صاحبه عليه عوضا من الدارين ولا حظا من الملكين.

٣. **والإخلاص:** أن لا تشهد على عقلك غير الله عز وجل ، وأهل لا إله إلا الله كثير ، والمخلصون منهم قليل. وفي الحديث: "**الناس كلهم هلكى إلا العالمون، والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون، والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر**"اهـ

فصل في مقامات الدين الثلاث ومنازلها:

وله أيضا زاده فيضا.

١ الإسلام	الإيمان	الإحسان
شعاع البصيرة	عين البصيرة	حق البصيرة
نور العقل	نور العلم	نور الحق
العبادة	العبودية	العبودة
المسلم	المومن	المحسن
علم اليقين	عين اليقين	حق اليقين
الرؤية	اللمس	الذوق

٢. الدين له ثلاث مقامات ، ولكلٍ ثلاث منازل:

التوبة	الاستقامة	التقوى
الصدق	الإخلاص	الطمانينة
المراقبة	المشاهدة	المعرفة
للإسلام	للإيمان	للإحسان

فالعبودية أتم من العبادة ، والعبودة من العبودية.

١. فالأول عبادة ثم عبودية ثم عبودة.
٢. فالعبادة من المومنين ، والعبودية للخواص ، والعبودة لخواص الخواص.
٣. فالعبادة لمن له علم اليقين ، والعبودية لمن له عين اليقين ، والعبودة لمن له حق اليقين.

العبادة لأصحاب المجاهدات.

والعبودية لأرباب المكابدات.

والعبودة صفة أهل المشاهدات.

١- والعبودية شهود الربوبية.
٢- والعبودية زينة العبد. فمن تركها تعطل من الزينة.
٣- والعبودة: أن تكون عبده في كل حال كما أنه ربك في كل حال.
١- والعبودية: أن تسلم كلَّك إليه ، وتحمل عليك كلّك.

٢- والعبودية: إسقاط رؤية التعبد في مشاهدة المعبود.

٣- والعبودة:

قال بعض الحكماء: العالم على الحقيقة من يشكل الواضح ، ويوضح المشكل لسعة علمه ، وكثرة فهمه ، وحسن نظره ، وتحقيقه.اهـ

الإسلام	التوبة ، سماء الدنيا موج ، مكتوب فيه آدم ، مرتبة النفس الأمارة الاستقامة ، سماء الثانية زبرجد بيضاء ، وفيه يحي وعيسى ، وللنفس اللوامة. التقوى: سماء الثالثة ، جديد ، إدريس ، المطمئنة.

<table>
<tr><td>إيمان</td><td colspan="2">الصدق ، سماء الرابعة ، نحاس ، وفيه يوسف ، الراضية.
الإخلاص ، سماء الخامسة ، فضة ، هارون ، المرضية.
الطمانية ، سماء السادسة ، ذهب ، موسى ، الكاملة</td></tr>
<tr><td>إحسان</td><td colspan="2">المراقبة ، سماء السابعة ، زمردة ، حضرة إبراهيم ، الخفى.
المشاهدة ، سدرة المنتهى ، الأخفى.
المعرفة ، مقام الرفرف ، السر.</td></tr>
<tr><td>الألوهية
النبوة
الولاية</td><td>حضرة الإحسان
حضرة الإيمان
حضرة الإسلام</td><td>توحيد خاص الخاص
توحيد الخاص
توحيد العام</td></tr>
</table>

التوحيد ضروري ، ونظري ، وقطعي.

١. التوحيد الضروري	للفاني	لا إله إلا أنا
٢. والتوحيد النظري	للخاص	لا إله إلا أنت
٣. والتوحيد القطعي	للمحجوب	لا إله إلا هو

- وحقيقة التوحيد نسيان التوحيد ،
- ما شم من روائح التوحيد من تصور عنده التوحيد.
- ومن وقع في بحار التوحيد لا يزداد على ممر الأوقات إلا عطشا.
- وأول مقام لمن وجد علم التوحيد ، وتحقق بذلك فناء ذكر الأشياء من قلبه ، وانفراد الله عز وجل لا إله إلا الله.

المقصد الثاني

في بيان التوبة والإنابة والأوبة

التوبة أصل كل مقام:

قال في عوارف المعارف:

التوبة أصل كل مقام ، وقوام كل مقام ، ومفتاح كل حال ، وهي أول المقامات ، وهي بمثابة الأرض للبناء ، فمن لا أرض له لا بناء له ، ومن لا توبة له لا حال له ولا مقام له.اهـ

وهي أول بداية الطريق ، وولوج المنازل.

وهي من صفات المومنين.

ومن ثمرات الاستقامة.

وهي عبادة.

وهي امتثال أمر الله تعالى في قوله: **{تُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}** [النور: ٣١]

وأنها على الله سبحانه وتعالى قال: **{إنما التوبة على الله}** أي هو الذي يقبل التوبة عن عباده.

وأنها نعمة من نعم الله تبارك وتعالى.

وهي مما أوجب الله على نفسه تفضلا قال: **{إنما التوبة على الله}**

قال الإمام سيدي عبد الرحمن الجزولي في شرح الرسالة: التوبة نعمة من الله تعالى على العبد، وأبوابها مفتوحة ما لم يعاين أي الموت. قال تعالى: {**{وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآَنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا}** [النساء: ١٨] أي إذا حضرت أسبابه ومقدماته، وما لم تطلع الشمس من مغربها. قال تعالى: **{يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آَيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ**

نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آَمَنَتْ مِنْ قَبْلُ} [الأنعام: ١٥٨] والتوبة مما خصت به هذه الأمة لأنه كان من قبلنا إذا أذنب ذنبا يجده مكتوبا على باب داره ، وكفارته اقتل نفسك ، أو افعل كذا.اهـ الدر الثمين.

وقال تعالى: { **وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا}** [البقرة: ٢٨٦] أي أمرا يثقل علينا حمله كعهد لا نستطيع القيام به ، فتعذبنا بنقصه كما حملته على الذين من قبلنا أي بني إسرائيل من قتل النفس في التوبة ، وإخراج ربع المال ، وخمسين صلاة في اليوم والليلة ، وقطع الأعضاء الخاطئة ، وقرض النجاسة.اهـ

وفي شرح جمع الجوامع للعراقي: قال الواسطي: كانت التوبة في بني إسرائيل بقتل النفس كما قال تعالى: **{فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ}** [البقرة: ٥٤] قال فكانت توبتهم إفناء نفوسهم عن مرادها مع رسوم الهياكل. ومثله بعضهم بمن أراد كسر لوزة في قارورة لكن ذلك يسير على من يسّره الله عليه.اهـ

فصل في حكمها كتابا وسنة وإجماعا:

قال الجزولي: وأما حكمها فهي فرض عين على كل مكلف ، والأصل فيها الكتاب والسنة والاجماع.

أما الكتاب فقوله تعالى: **{وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}** [النور: ٣١] وقال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ}** الآية [التحريم: ٨] ولعل وعسى من الله تعالى بمعنى الوجوب.

وأما السنة فقوله ﷺ: **"توبوا فإني أتوب في كل يوم سبعين مرة"** وفي بعضها: **"مائة مرة"** وقال: **"التائب من الذنب كمن لا ذنب له"**

وأما الإجماع فقد اجتمع الناس على أنها واجبة على كل مكلف مسلما كان أو كافرا ، حرا أو عبدا ، ذكرا كان أو أنثى ، مريضا أو صحيحا ، مقيما أو مسافرا ، ولا خلاف في أنها واجبة على الفور ، ولا قائل بأنها على

التراخي ، فمن أخرها فهو عاص تجب عليه التوبة من تأخيرها لأنها معصية ثابتة. ثم قال: وهي على قسمين واجبة من المحظور ، ومندوبة من المكروه.اهـ

قال ابن عاشر:

وتوبة من كل ذنب يجترم تجب فورا مطلقا وهي الندم
بشرط الاقلاع ونفي الإصرار وليتلاف ممكنا ذا استغفار

قال في الدر الثمين: أخبر أن التوبة تجب أي وجوب الفرائض على الأعيان من كل ذنب أي كبيرا أو صغيرا كان حقا لله تعالى أو لآدمي أو لهما كان الذنب معلوما عنده أو مجهولا فتجب التوبة من الذنوب المجهولة إجمالا ، ومن المعلوم تفصيلا.

وقد اجتمع العلماء على أنها واجبة على كل مكلف مسلما كان أو كافرا ، حرا كان أو عبدا ، ذكرا كان أو أنثى ، مريضا أو صحيحا ، مقيما أو مسافرا. وقال الجزولي رحمه الله تعالى: وهي على قسمين: واجبة من المحظور ، ومندوبة من المكروه.

وهي لغة الرجوع ، يقال: تاب وآب وأناب ، وشرعا تنتظم كسائر مقامات اليقين من علم وحال وعمل.

فالعلم أن يعلم أن لا مانع له من عذاب الله إن شاء أن يعاقبه على العصيان ، ولا غنى له عن رحمة الله وما عنده من عفو وإحسان ، **{من ذا الذي يعصمكم من الله}** الآية. **{أم من هذا الذي هو جند لكم}** الآية. **{يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله}** الآية. وتستحضر أن المعاصي سموم مهلكة تجر إلى عقاب شديد ، وبطش شديد ، وإنك لا تقوى على حر الشمس ولا لطمة شرطي ولا قرص نملة ، فكيف بحر نار جهنم؟ وضرب مقامع الزبانية؟ ولدغ حيات كأعناق البخت؟ وعقارب كالبغال؟ كما قيل:

أيا عاملا للنار جسمك لين ... فجربه تمرينا بحر الظهيرة

ودربه في لسع الزنابير تجتري ... على نهش حيات هناك عظيمة

فإن كنت لا تقوى فويحك ما الذي ... دعاك إلى إسخاط رب البرية

وقيل:

جسمي على البرد ليس يقوى ولا على أيسر الحراره
فكيف يقوى على جحيم وقودها الناس والحجاره

وانظر قوله تعالى: {**يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ (١٤) كَلَّا إِنَّهَا لَظَى (١٥) نَزَّاعَةً لِلشَّوَى**} [المعارج: ١١ – ١٦] {**وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ**} [الزمر: ٤٧]

وأما الحال فما ينشأ عن استحضار ذلك من خوف يحمل على الندم على الذنوب.

وأما العمل فما ينشأ عن هذه الحال من الإقلاع عن الذنوب ، والعزم أن لا يعود إليها ، وتدارك ما أمكن التدارك.اهـ ابن حمدون.

فصل في معنى التوبة ومراتبها:

قال في الدر الثمين: التوبة لغة: الرجوع. وشرعا: الرجوع من أفعال مذمومة شرعا إلى أفعال محمودة شرعا. وقيل: الرجوع من أربعة إلى أربعة أشياء:

من الكفر إلى الإيمان.

ومن المعصية إلى الطاعة.

ومن البدعة إلى السنة.

ومن الغفلة إلى اليقظة.

وقيل: نفور النفس من المعصية بحيث يحصل عن ذلك الندم على المعاصي، والعزم على الترك في المستقبل، والإقلاع في الحين، فيرد المظالم، ويتحلل عن الأعراض، ويسلم نفسه للقصاص إن أمكن ذلك. وهذا هو الذي ذكر الناظم، ومعنى قوله ﷺ: "**الندم توبة**" أي معظمها الندم على حد قوله ﷺ: "**الحج عرفة**" أي معظم

أركانه عرفات، والعبارات متقاربة.اهـ المراد من الدر الثمين.

قال في الرماح: قال سهل بن عبد الله: التوبة: الانتقال من الأحوال المذمومة إلى الأحوال المحمودة.اهـ الرماح.

قال في الرماح: وقال في بغية السالك: اعلم جعلني الله تعالى وإياك ممن أسلم وجهه إلى الله تعالى ولم ير في الوجود إلا الله تعالى أن التوبة واجبة في الطريق وهي بدايته لأنها ولوج لأول الأبواب التي تسرع إلى طريق السالكين المسافرين إلى الله تعالى، ونعني بالتوبة هنا توبة العامة التي فرضها الله تعالى على جميع أهل الإسلام في قوله تعالى: **{وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}** [النور: ٣١] وهي الرجوع من المعاصي إلى الطاعات قال تعالى: **{ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون}** سمعت أبي رضي الله تعالى عنه يقول: للتوبة ثلاث مراتب:

- توبة في مقام الإسلام وهي الرجوع من المخالفات إلى الطاعة.
- وتوبة في مقام الإيمان وهي الرجوع من الغفلة إلى استصحاب الذكر.
- وتوبة في مقام الإحسان وهي الرجوع من الأوهام إلى الحقائق.اهـ

مراتبها:

قال ابن جزي رحمه الله ورضي عنه كما في قوانين الفقهية: ومراتبها سبعة:

فتوبة الكافر من الشرك.

وتوبة المخلصين من الذنوب والكبائر.

وتوبة العدول من الصغائر.

وتوبة السالكين مما يخامر القلوب من العلل والآفات المفسدة.

وتوبة العابدين من الفترات.

وتوبة أهل الورع من الشبهات.

وتوبة أهل المشاهدة من الغفلات.اهـ

وفي الحديث: "**إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم سبعين مرة**" وفي رواية: "**مائة مرة**" قالوا: هو غين أنوار لا غين أغيار.

ومعناه: دوام ترقيه مع الأنفاس فيرى أن كل مقام نقص بالنسبة لما فوقه، فاستغفاره من هذا المعنى. والله أعلم.

فصل في التوبة ووصفها:

التوبة من تاب يتوب إذا رجع عن أفعال مذمومة شرعا إلى محمودة شرعا. قال تعالى: { **وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**} [الحجرات: ١١] لا شك أن من لم يتب من الذنوب فقد ظلم نفسه المأمور بها من الوقاية من النار، وبها تحصل للعبد محبة الله تعالى. وقال تعالى: {**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**} [البقرة: ٢٢٢] وفي الحديث: "**التائب حبيب الله**"

والتوبة عبادة. قال تعالى: {**التائبون العابدون**} [التوبة: ١١٢] وقال تعالى: { **تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ**} [التحريم: ٥] وقال تعالى: { **وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ**} [الشورى: ٢٥] وقال تعالى: {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آَمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا**

إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [التحريم: ٨] لعل وعسى من الله بمعنى الوجوب.اهـ

وقال ﷺ: **"التائب من الذنب كمن لا ذنب له"** وقال تعالى: { **إِلَّا مَنْ تَابَ وَآَمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ}** [الفرقان: ٧٠] وفي الحديث: **"إن الله تعالى يبسطُ يده بالليل ليتُوب مُسيء النهار، ويبسطُ يده بالنهار ليتوب مُسيء الليل حتى تطلع الشمسُ من مغربها"** أخرجه مسلم. وقال ﷺ: **"إِذَا تَابَ الْعَبْدُ من ذنوبه أَنْسَى اللَّهُ حَفَظَته، وَأَنْسَى ذَلِكَ جَوَارِحَهُ وَمَعَالِمَهُ مِنَ الأَرْضِ، حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَلَيْسَ عَلَيْهِ شَاهِدٌ مِنَ اللَّهِ بِذَنْبٍ"** رواه مسلم وغيره.اهـ

فصل في التوبة النصوح:

وعن سيدنا عمر رضي الله عنه وعنا به آمين: التوبة النصوح: أن يتوب ثم لا يعود إلى الذنب كما لا يعود اللبن إلى الضرع.

قال في الرماح: وأما التوبة النصوح فقد اختلفوا في حقيقتها فقال عمر ومعاذ: التوبة النصوح أن يتوب ثم لا يعود إلى الذنب كما لا يعود اللبن إلى الضرع، وقال الحسن: هي أن يكون العبد نادما على ما مضى مجمعا على أن لا يعود فيه وقال الكلبي: أن يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسك بالبدن وعن السدى لا تصح إلا بنصيحة النفس ونصيحة المؤمنين لأن من صحت توبته أحب أن يكون الناس مثله.

وقال القرطبي: يجمعها أربعة أشياء: الاستغفار باللسان والإقلاع بالأبدان والإضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيء الإخوان. وقال الشيخ أبو عبد الله بن خفيف: التوبة النصوح الصدق فيها ترك ما منه تاب سرا وإعلانا قولا وفكرة وقال الواسطي: التوبة النصوح التي لا

تبقي على صاحبها آثار المعصية سرا أو جهرا وقال: من كانت توبته نصوحا لم يبال كيف أصبح وكيف أمسى اهـ.

قلت: هذه هي التوبة المشار إليها. وأسألك أيه القارئ عن مراد شيخنا أبي العباس ، القطب المكتوم ، والبرزخ المحمدي المعلوم ، مولانا الشيخ أحمد بن مُحَمَّد التجاني الحسني رضي الله عنه وعنا به آمين في قوله الثابت عنه كما في البغية عند قول الناظم:

ومع ما ترى من الخوارق ... على يد هذا الإمام الفائق

يخفي الخوارق خفاء غايه ... ويبغض المدعي الولاية

وكان ينهى الناس من دعواها ... مخافة السقوط في بلواها

وأما الأبيات الثلاث فظاهر أنه عقد فيها ما وصفه به في الجواهر من تبرئته رضي الله عنه من الدعوى أتم براءة ، وتنصله منها غاية التنصل ، وأنه لم يكن يقبل من أحد ما يشير إليها ، وإذا حكى شيئا مما اتفق له من الكرامات أو ما يشير إليها نسبه إلى مجهول ، فيقول وقع لبعض الناس ، أو نحو ذلك ، وربما اتفق الإجماع بمن حضر

ذلك فيخبر أنه شاهد ذلك منه وحضره. وأنه كان يشدد النكير في دعوى الفقر ، ويقول: إلى الآن ما حصلت لنا التوبة والإيمان الكامل. وأنه رضي الله عنه كان كثيرا ما يستعيذ بالله من الدعوى. ويقول: إن عقوبتها الموت على سوء الخاتمة. والعياذ بالله تعالى. انظر الجواهر.

قلت: انظر ما هي التوبة ؟ أية توبة ؟ في أي مقام ؟ ومن أي حال وقول وفعل ؟ وما هذا الإيمان الكامل ؟ وأما الإيمان المطلق فقد قال ابن عاشر:

الإيمان جزم بالإله والكتب   والرسل والأملاك مع بعث قرب

قال ﷺ: **"لا يومن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله والناس أجمعين"** وقال ﷺ: **"لا يومن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به"** قال: **"لا إيمان لمن لا أمانة له"**اهـ

فصل: مراتب الناس في التوبة عند شيخ الإسلام:

وأما المنازل فأول منازل الإسلام التوبة ، وهي الخروج من كفر النعمة ، فكل نعمة شكره صرفها في مرضات المنعم. وضد الشكر كفر.

وعند علماء الصوفية: الخروج من كل خلق دني إلى كل خلق سني.

قلت: والدني في حق العام: ترك الفرائض وارتكاب المحرمات.

وفي حق الخاص: ترك الفضائل وارتكاب المكروهات.

وفي حق خاص الخاص: الإعراض عن الحضرة ، وهو الغفلة.

وهذه التوبة هي حقيقة التوبة ، لأن حقيقتها قتل النفس. قال تعالى: **{فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ}** [البقرة: ٥٤] فلا يراها ولا يرى لها فعلا ولا حالا ولا مقاما ،

وذلك هو التوبة من التوبة. {**إن الله يحب التوابين**} أي من التوبة.اهـ رسالة بيان مقامات الدين الثلاث.

والتوبة تجب ما قبلها.

وعنه رضي الله عنه وعنا به آمين:

التوبة على ثلاثة أقسام:

أولها: التوبة.

وثانيها: الإنابة.

وثالثها: الأوبة.

التوبة بداية.

والإنابة وسطة.

والأوبة نهاية.

التوبة صفة المومنين ، قال تعالى: {**وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ**} [النور: ٣١]

والإنابة صفة الأولياء والمقربين. قال تعالى: {وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ} [ق: ٣٣]

والأوبة صفة الأنبياء والمرسلين. قال تعالى: {نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ}.

توبة العوام من الذنب.

وتوبة الخواص من الغفلة.

وتوبة خواص الخواص من كل ما سوى الله تعالى.

التوبة الرجوع من حضرة الاختلاف إلى حضرة الاتفاق.

فكل من تاب لخوف العقوبة فهو صاحب توبة.

ومن تاب طمعا في الثواب فهو صاحب إنابة.

ومن تاب مراعاة للأمر ، لا لرغبة في الثواب ، ولا رهبة عن العقاب ، فهو صاحب أوبة. والسلام.

{فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ} [البقرة: ٥٤] وفي الحديث: "**أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك**" وقال ﷺ: "**من أعز نفسه فقد أذل دينه، ومن أعز دينه فقد أذل نفسه**" ففي إعزازها بعدك عن مقام تبلغ فيه مناك ، وفي إذلالها عزك وقربك من مواهب مولاك.اهـ

المقصد الثالث

في بيان التوبة والإنابة والأوبة

التوبة:

وهي الرجوع إلى الله تعالى.

فتوبة العامة من المخالفة إلى الموافقة.

وتوبة الخاصة عن السوى إلى الحق.

وتوبة خاصة الخاصة عن التوبة ، وعن مقتضى اسم إلى مقتضى اسم ، وتسمى توبة المحققين.

وتوبة خاصة خاصة الخاصة عن التقييد بمقتضيات الأسماء إلى أحدية الجمع ، وتسمى توبة المنتهي.

قال تعالى: { **وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ**} [هود: ٥٢] أي بالتوبة من الإشراك ، وترجعوا إليه بالطاعة.

{ فَاسْتَغْفِرُوهُ} من الشرك **{ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ}** أي ارجعوا إليه بالطاعة **{ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ}** [هود: ٦١]

الإنابة:

وهي الرجوع إلى الله تعالى بنسيان لذة ما رجع عنه.

فإنابة العامة عن المخالفات.

وإنابة الخاصة عن الإرادات.

وإنابة الأخص عن رؤية الغير.

وإنابة أخص الأخص عن عدم الشهود بمراتب التجليات فيما يسمى بالسوا.

وإنابة صفا أخص الأخص عن الانقهار بسلطان التجلي عن رؤية المتجلى.اهـ الجواهر الخمس.

وقال تعالى **{ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ}** [ص: ٢٤] أي

رجع إلى الله تعالى بالتوبة. وحسنات الأبرار سيئات المقربين ، وهو توبة المخلصين.

والرجوع إلى الله وحده حال المنيب إليه. قال تعالى: { **وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ**} [هود: ٨٨] وهو صفة المهتدين. قال تعالى: {**قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ، الَّذِينَ آَمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ، الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآَبٍ**} [الرعد: ٢٧ — ٢٩]

وقال تعالى: { **وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ**} [زمر: ٥٤] أي أخلصوا العمل له. وهو صفة من يجب متابعته في الدين ، وهو الشيخ المرشد الكامل. قال تعالى: {**وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ**} [لقمان: ١٥] أي في الدين بالتوحيد والإخلاص

في الطاعة، والتذكر بمعنى الاتعاظ والاعتبار. قال تعالى: **{وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ}** [غافر: ١٣] أي من رجع من الإنكار بالإقبال عليها والتفكر فيها لا المعاند.اهـ والاستدلال على القدرة بالآيات والعبودية. قال تعالى: **{ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ}** [السبإ: ٩]

الأوبة:

اعلم أن الأوبة كثيرا ما يوصف الأنبياء والرسل ومن على قدمهم. الأواب وهو التائب من كل جانب فكأنه ياتي التوبة من كل الجهات، إذ الأوب الجانب.

قال تعالى: **{إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا}** [الإسراء: ٢٥] وقال تعالى: **{وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ}** [ص: ١٧] أي ذا الأيدي: القوة في العبادة كان يصوم يوما ويفطر يوما، ويقوم نصف الليل وينام ثلثه ويقوم سدسه. **{إنه أواب}** رجاع

إلى مرضاة الله تعليل للأيد. ودليل على أن المراد به القوة في الدين.اهـ الضياء.

{ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ} أي رجاع إلى طاعته بالتسبيح رجوعا بعد رجوع ، والمعنى كل معه يسبح على الدوام.اهـ الضياء.

وقال في سليمان: **{وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ}** [ص: ٣٠] أي رجاع بالتسبيح والذكر في جميع الأوقات تعليل للمدح ، وعبر عن إعطائه بالهبة إشارة إلى جلالته.اهـ

وقال في أيوب عليه السلام: **{إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ}** [ص: ٤٤]

قال تعالى: **{ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ}** [٣١ – ٣٣] أي مقبل على طاعة الله ، ووصف المتقي بالأواب لحفظ الحدود **{ومن خشي}** بدل بعد بدل وإيثار **(الرحمن)**

من بين أسمائه تعالى ، وجعله مقرونا بالخشية للثناء على الخاشي لأنه يخشاه مع علمه بسعة رحمته ولم يغتر بذلك.اهـ الضياء.{**ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ (٣٤) لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ**} قال تعالى: {**إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (٢٥) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ**} [الغاشية: ٢٥ – ٢٦] أي رجوعهم وجزاءهم لا نتركه أبدا. وتقديم الخبر للتخصيص ، وفيه تسلية وتهديد لهم بالغ.اهـ الضياء.

وفي الحديث: إذا انصرف من مكة من حج أو عمرة يقول: آئبون تائبون لربنا حامدون صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده.

قلت:

١	التوبة من الأقوال الإنابة من الأفعال الأوبة من الأحوال	١٥	التوبة من اللسان الإنابة من القلوب الأوبة من الأحوال

٢	التوبة فرق الإنابة جمع الأوبة جمع جمع	١٦	التوبة من النفس الإنابة من القلب والأوبة من الروح
٣	التوبة وصول الإنابة فناء الأوبة تحقق	١٧	التوبة الفناء[٣] الإنابة البقاء الأوبة الشهود[٤]
٤	التوبة للمسلم الإنابة للمومن الأوبة للمحسن	١٨	التذكر التفكر الاعتبار

[٣]. وبعد الفنا في الله كن كيف ما تشا
فعلمك لا جهل وفعلك لا وزر

[٤]. رأيت ربي بعين قلبي الخ

٥	الاستغفار للمسلم التوبة للمومن التذكر للمحسن	١٩	الفرق للذاكر الجمع للمتفكر الفناء للمعتبر
٦	فذكر فإن الذكرى تنفع المومنين إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا	٢٠	التوبة مقام العلم. الإنابة مقام الولاية الأوبة مقام المعرفة
٧	التوبة حال السائر الإنابة حال الواصل الأوبة حال العارف	٢١	الروح يفكر السر .... الخفى: يذكر خير الذكر الخفي
٨	الاستغفار للمبتدي. التوبة للقاصد. الفرار للواصل.	٢٢	الإرشاد للضال الهداية للعاصي الدلالة للآثم

٩	الترك للمبتدي الاجتناب للقاصد الفرار للواصل.	٢٣	الطمع {يطمع فيه} الرجاء {يرجون رحمة ربهم} الخوف {يدعون ربهم خوفا وطمعا}
١٠	التوبة للمريد الإنابة للواصل الأوبة للعارف	٢٤	الاستغفار لليائس التوبة للغانط. الاجتناب للمومن
١١	- التوبة للمسلم -الاستغفار للمومن ، لأنه في حقه شرط الإيمان ، **{استغفروا للذين آمنوا}** - الذكر والتذكر للعارف **{ألا بذكر الله تطمئن القلوب}** لأنه أناب إلى الله بالكلية **{وما يذكر إلا من ينيب}**	٢٥	الاستغفار مقام المريد الإنابة مقام الدعوة الأوبة مقام النبوة

١٢	التوبة مقام الطريقة الإنابة مقام الشريعة الأوبة مقام الحقيقة	٢٦	التوبة عبودية الإنابة ولاية. الأوبة معرفة.
١٣	التوبة مقام الشاب الإنابة مقام بلوغ الأربعين الأوبة مقام الطاعة. انظر إلى قوله ﷺ: "...[٥]"	٢٧	التوبة من السيئات الإنابة من الزلل والعلات. الأوبة من رؤية الحسنات والطاعات
١٤	الذنوب فرق. التوبة جمع. الإنابة جمع جمع.	٢٨	الإسلام الإيمان. الإحسان.

---

٥. بياض في الأصل.

١. **الإنابة للمسلم:** قال تعالى: **{ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ}** [الزمر: ٥٤] والإنابة لمن أسلم إلى الله الأمور ، وهي مقام الدعاة إلى الله تعالى. قال تعالى: **{وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ}** [لقمان: ١٥] والتذكر فوق التفكر ، فإن التفكر طلب ، والتذكر وجود.

٢. **والفرار لأهل اليقظة:** وهو الهرب مما لم يكن إلى ما لم يزل. قال تعالى: **{ففروا إلى الله}**

٣. **والاجتناب للعصاة:** قال تعالى: **{ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا}** [النساء: ٣١] قال الشاعر:

إذا قلت ما أذنبت قال مجيبة

وجودك ذنب هل يقاس به ذنب

المقصد الرابع

في آداب التوبة وشروطها

وللتوبة آداب وشروط:

أما شروطها فأربعة:

الأول: الإقلاع عن جميع الذنوب التي تلبس بها ، لأن الإقلاع يضاد الإقامة ، ولا توبة من ذنب لمقيم عليه ، وهو أكبر الكذابين.

الثاني: الندم على ما فات ، وهو عمدة التوبة. قال صلى الله عليه وسلم: "**الندم التوبة**" والندم يضاد الإصرار ، ولا توبة من ذنب لمصر عليه ، وهو أعظم المستهزئين.

الثالث: العزم على أن لا يعود لشيء مما أقلع عنه ، وتائب منه ، لأن العزم ضد التردد ، ولا تصح توبة لا ثبات لعقدها ، وهو أسوأ المتلاعبين.

والعزم توطئة النفس على أن لا عودة للذنب البتة ، والنفس مهما أرخي لها زمامها مضت على أولها ، واسترسلت في شهواتها استرسال البهائم في مرعاها.

الرابع: القصد بالتوبة معاملة الحي القيوم بتعظيمه ، وخوف عقابه ، لأن التوبة قد يكون الباعث عليها غير ذلك من الأوهام التي ليست من معاملة الله عز وجل في شيء ، وهذا الشرط هو قلب الشروط ، وعليها مدارها.

وأما آدابها فأربعة:

الأول: ترك الأصحاب الذين ألفهم على التقصير ، وصحبهم على العصيان ، فيعرض عنهم ويقاطعهم ، وكذلك من يتوسم فيه الشر فهم شياطين الإنس الذين أمر الله تعالى بالتعوذ منهم ، وإن لم يدعوا للشر بأقوالهم يدعون إليه بأحوالهم ، والطبع يسرق من الطبع.

وإلى هذا المعنى أشار بقوله ﷺ: **"المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل"**

الثاني: مواصلة أهل الخير ومؤالفتهم ، لا سيما الذين أقامهم الله تعالى هداية للخلق كالعلماء ، فهم وإن لم يدعوا لله تعالى بأقوالهم فهم يدعون إليه بأحوالهم ، وإلى ذلك الإشارة بقوله ﷺ: "**الجليس الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير من الجليس السوء**"

الثالث: اجتناب مواضع الهوى واللهو والغفلة ، فإن النفس تنبعث بذلك إلى الشهوات ، وتسترسل في الغفلة كالسماع المستعمل الآن بالآلات المطربة ونحو ذلك ، ولا يخدعه في ذلك ما يجده من تحريك وهيجان طباعه ، فإن ذلك خدعة طبيعية وشرك خفي ، لا مذاق فيه من طريق السالكين ، ولا نفحة له من سبيل العابدين.

الرابع: أن لا يذكر شيئًا من لذاته التي خلت ، ولا يخطر بباله شيء من شهواته التي سبقت على وجه الاستلذاذ ، فإن النفس تتحرك بذلك لما قد خرجت عنه بالتوبة ، وله أن يذكر ذلك ويتفكر فيه مقرونا بالوعيد عليه على وجه التخويف بالعقوبة ليسكن شره النفس ، وتعلم قدرها مما

اقترفته ، ولا تسكن إلى الأمن بما هو عليه من وظائف التوبة.اهـ

وقال: آدابها ثلاثة:

١. الاعتراف بالذنوب بين يدي الله تعالى مقرونا بالإنكسار.
٢. والإكثار من الاستغفار.
٣. والإكثار من الحسنات لمحو ما تقدم من السيئات.

والبواعث عليه سبعة:

١. خوف العقاب.
٢. ورجاء الثواب.
٣. والخجل من الحساب.
٤. ومحبة الحبيب.
٥. ومراقبة الرقيب القريب.
٦. وتعظيم المقام.
٧. وشكر الإنعام.اهـ

فائدة:

ومن آدابها أيضا قال في البغية:

فائدة: مما ينبغي للعاقل أن لا يغفل عنه صلاة التوبة لحديث: «**مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يُذْنِبُ ذَنْبًا، ثُمَّ يَقُومُ فَيَتَطَهَّرُ ثُمَّ يُصَلِّي، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ**» ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿**وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ**﴾ الآية، وفي رواية: "**ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ**»، وفي آخر: «**مَا أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا ثُمَّ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى بَرَازٍ مِنَ الأَرْضِ فَصَلَّى فِيهِ رَكْعَتَيْنِ وَاسْتَغْفَرَ اللَّهَ إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ**" اهـ. والبراز: كسحاب الفضاء من الأرض، ومثله كل موضع خال من الناس لا سيما المكان المعظم.

وفي العهود المحمدية:

أخذ علينا العهد العام من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نواظب على صلاة التوبة كلما نذنب ذنبا، وإن تكرر ذلك الذنب كل يوم سبعين مرة أو أكثر،

وذلك لأن التنصل من الذنوب مقدم على كل طاعة. ثم قال: واعلم أن من فضائل الصلاة أن العبد إذا وقف بين يدي الله عز وجل نادما مستغفرا لا يرده الله إلا مقبول التوبة ، التي هي الرجوع إلى كشف الحجاب بعد أن كان محجوبا حتى وقع في الذنب. انظره.اهـ الدرة ، جـ ٢ ، صـ ١٧٠

فائدة: قبول التوبة قطعي:

اعلم أن التوبة مقبولة قطعا ، وفي جواهر المعاني من كلام سيدنا رضي الله عنه: الدليل على قبول التوبة أنه قطعي قوله تعالى: **{إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء}** الآية. وقوله تعالى: **{إلا من تاب وآمن وعمل صالحا}** إلى **{رحيما}** وقوله تعالى: **{وهو الذي يقبل التوبة عن عباده}** إلى غير هذا من الآيات الدالة على القبول أنه قطعي لأنه وعد التائب بالقبول ، ووعده لا يخلف عند أهل الحق.اهـ

فائدة: وجهي كلمة أستغفر الله وكلمة تبت إلى الله وأتوب إليه، وإني تائب لله تعالى، أو أنبت أو رجعت أو تركت المعصية:

اعلم أن لفظ استغفر الله عام في حق المذنبين ، سواء يستغفر هو لنفسه ويستغفر له غيره. وقال تعالى: **{وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا}** [النساء: ٦٤] وقال: **{وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ}** [هود: ٣] وقال: **{وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ}** التوبة: ١١٤] وقال نوح: **فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا}** [نوح: ١٠]

وقال للخواص: **{وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}** [النصر: ٣] ووصف نفسه بالتواب. وقال: **{وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ}** [الحجرات: ١٢]

كما وصف نفسه بالغفور الرحيم كثيرا في مقام العوام شفقة بهم، وتنبيها لهم بأنه رب غفور رحيم قال: { **قُلْ لِلَّذِينَ آَمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**} [الجاثية: ١٤] وقال: { **وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**} [المائدة: ١١٨] وقال: {**مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آَمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ**} [التوبة: ١١٣] وقال: {**وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ**} [التوبة: ١١٤] وقال تعالى: { **فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ**} [غافر: ٧]

وأما لفظة تبت إلى الله، وأنبت إليه، وأتوب إليه فهو مقام الخواص وخواص الخواص، ومن عمل العارفين مع الصديقن والشهداء والصالحين والنبيين والمرسلين.

ولذلك أمرهم بالتوبة بعد الاستغفار. قال: {فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ} [هود: ٦١] وقال إبراهيم: {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ} [البقرة: ١٢٨] وقال تعالى: {لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة: ١١٧] وقال تعالى: {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ} [هود: ١١٢] وقال تعالى: { وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ} [النساء: ٢٧] وقال تعالى: {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا} [النساء: ١٧] وقال في معرض التعريض: { أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ} [المائدة: ٧٤]

وقال ﷺ: **"آئبون تائبون عابدون لربنا حامدون، صدق الله وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده"**

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا} [التحريم: ٨] وقال: {فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ} [الأعراف: ١٤٣] وقال في معرض الشكر: {أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [الأحقاف: ١٥] وقال تعالى: { وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ} [طه: ٨٢] وقال تعالى: { فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ} [التوبة: ٧٤]

الجمع بين المقامين:

{ فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ} [هود: ٦١][٦]

ما أوجب الله عليه تفضلا:

١. التوبة. قال تعالى: {إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ}

---

[٦]. تحت الآية بياض.

[النساء: ١٧] وقال تعالى: **{وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ}** الآية. [الشورى: ٢٥]

٢. ورزق العباد. قال تعالى: **{ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ}** [هود: ٦]

٣. والنعمة الظاهرة والباطنة. قال تعالى: **{ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ}** [النحل: ٥٣]

المقصد الخامس

في أقسام الناس في المغفرة

قال تعالى: **{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}** [النساء: ٤٨]

قال في ضياء التأويل: الإشراك به ممن لم يتب لقوله: **{يغفر لهم ما قد سلف}** والمراد من الشرك الكفر مطلقا لقوله: **{ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ}** وإنما عبر بالشرك لأنه حال المخاطبين من اليهود وعبدة الأوثان. **(ويغفر ما دون ذلك)** أي سوى الكفر من الذنوب صغيرة أو كبيرة **(لمن يشاء)** المغفرة له وإن لم يتب برحمته بأن يدخله الجنة بلا عذاب ، ومن يشاء عذبه من المومنين بذنوبه ثم يدخله الجنة.

قال في غاية الأماني: هذا صريح أنه لا يغفر الشرك ويغفر ما دونه لمن يشاء ، وأيده سائر الآيات والأحاديث المتواترة معنى ، فمن قيد بالتوبة فقد حرف الكلم.اهـ

وقال في الجواهر الحسان: هذه الآية هي الحاكمة ببيان ما تعارض من آيات الوعد والوعيد.

وتلخيص الكلام فيها أن يقال: الناس أربعة أصناف:

١. كافر: مات على كفره ، فهذا مخلد في النار بإجماع.
٢. ومومن محض لم يذنب قط ومات على ذلك ، فهذا في الجنة بإجماع.
٣. وتائب مات على توبته فهو عند جمهور أهل السنة في الجنة. ومن المتكلمين من قال: في المشيئة.
٤. ومذنب: مات قبل التوبة موضع خلاف الطوائف.
قال أهل السنة: في المشيئة.
والمعتزلة قالوا: في النار إن كان صاحب كبيرة.
وقال الخوارج: مخلد في النار مطلقا إذ كل ذنب عندهم كبيرة.
وقالت المرجئة: هو في الجنة بإيمانه لا يضره الذنب.

فالآية نص في موضع النزاع إذ قوله **{لا يغفر أن يشرك به}** مجمع عليه. وقوله: **{ويغفر ما دون ذلك}** رد على المعتزلة والخوارج. وقوله: **{لمن يشاء}** رد على المرجئة لبيانه أن غفران ما دون الشرك إنما هو لقوم دون قوم بخلاف ما زعموه من أنه مغفور لكل مومن.اهـ ملخصا. وفي نظم عقيدة السنوسي لشيخ شيوخنا طاهر رحمه الله:

والحق فيه أنهم قسمان ... مؤمنهم وكافر فالثاني
مخلد في النار بالإجماع ... وذاك ضربان بلا نزاع
محفوظ عمره من المعاصي ... في جنة والخلف عنه قاص
وغيره قسمان: ذو الصغائر ... لا غيرها ، وصاحب الكبائر
إن تاب في الجنة قل هذان ... والغير في مشيئة الرحمن

انتهى.

مسألة:

فإن قال قائل: الإيمان أعم من الإسلام أم الإسلام أعم من الإيمان ؟

فالجواب أن تقول الإسلام أعم من الإيمان لأن كل مومن مسلم ، وليس كل مسلم مومنا ، لأن المنافق والزنديق يظهران الإسلام ويعتقدان الكفر.

وإن الإيمان من أعمال الجوارح الباطنة ، والإسلام من أفعال الجوارح الظاهرة.

فإن قال قائل: الإيمان والإسلام هل هما شيء واحد؟ فالجواب أن تقول في ذلك قولان.

قيل: هما شيئان. وقيل: هما شيء واحد.

فحجة من قال أنهما شيئان قوله تعالى: {**قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُم**} الحجرات: ١٤] وحجة من قال أنهما شيء واحد قوله تعالى: { **فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ**

فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} [الذاريات: ٣٥ – ٣٦]اهـ

فإن قال قائل: الاستغفار والتوبة شيئان أو شيء واحد؟

فالجواب أنهما شيئان، فإن التوبة من المذمومات إلى المحمودات شرعا، والاستغفار من شرط التوبة، وكل تائب مستغفر، وليس كل مستغفر تائبا.

ولأن الاستغفار من أفعال الجوارح الظاهرة، وهو اللسان، والتوبة من أفعال الجوارح الباطنة وهو القلب، والعزم أن لا يعود إلى الذنب فيما بقي من عمره مع الإقلاع عنها إن كان متلبسا بها، قال تعالى: **{فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ}** [هود: ٦١]

المقصد السادس

التحذير من توبة الكاذبين المسهزئين بربهم

قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا}** [التحريم: ٨] وفي الحديث: "**التوبة النصوح الندم على الذنب حين يفرط منك فتستغفر الله ثم لا تعود إليه أبدا**" رواه أبو حاتم وابن مردويه.

وروى الطبراني وأبو نعيم: "**الندامة توبة، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه**"

اعلم أن توبة الكذابين وهي أن تقول أستغفر الله وأنت مقيم وملتبس بالمعاصي ، لأن من شرط التوية الندم ، والنية أن لا يعود وأن يترك المعصية إن كان متلبسا بها ، وإلا "**ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة**"

الفرق بين تبت وأستغفر الله:

قال في الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التجاني: "وقد علمت أن صيغة الاستغفار في الوظيفة لا يزيد الإنسان فيها لفظة و(أتوب إليه) وقد وردت الأخبار الثابتة عنه ﷺ بالروايتين، ولعل وجه اختيار الرواية التي ليست فيها (وأتوب إليه) أن الإستغفار إذا أتى به العبد حتى العامي المتبدي لا يكون كاذبا فيه بخلاف التوبة، فإنه إذا قال (وأتوب إليه وليس بتائب فهو كاذب كذبا ظاهرا بخلاف ما اختير فإنه ليس فيه إلا طلب المغفرة. والله أعلم.اهـ

وقيل للحسن: الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب إلى متى.وقال: ما أرى هذا إلا من أخلاق المومنين. وقال حجة الإسلام رحمه الله تعالى: كما اتخذ العود إلى الذنب حرفة فاتخذ العود إلى التوبة حرفة، فإنك تكفر بالتوبة ذنبك الماضي، ولعلك تموت وأنت تائب.اهـ وورد "**وإياكم وتوبة الكذابين**" قيل: وما توبة

الكاذبين؟ قال: "**أن تقول أستغفر اللله وأتوب إليه ولم تكن كذلك**" أو كما قال.

وفي الحديث: "**ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة**" وقال ﷺ: "**التوبة النصوح الندم على الذنب حين يفرط منك فتستغفر الله ثم لا تعود إليه أبدا**" رواه أبو حاتم وابن مردويه.

وروى الطبراني وأبو نعيم: "**الندامة توبة، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، والمستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه**"

ولهذا أطلق الله تبارك وتعالى كلمة الاستغفار، وقال: **{وأن استغفروا ربكم}** وقال: **{واستغفروا الله}**

وذلك أن مغفرته لا ترقي فيها، وغايتها أن تلحق المذنب بمن لا يذنب ذلك الذنب، لا أنها تلحقه بمن فعل الطاعات، فافهم. ومراد القوم دوام الترقي مع الأنفاس في المقامات، وذلك بدوام ذكر الله ثم إنهم لا يرون أنهم قاموا بذرة واحدة من واجب حق الله تعالى.اهـ كاشف الإلباس.

المقصد السابع

في التحذير من مخالفة أمر الله والأمن من مكر الله

والمخالفة هي أصل الكفر، وهي الافتراق. **{كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين ...}**

قال تعالى: { **فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**} [النور: ٦٣]

قال في الرماح: "فالحذر الحذر من مخالفة أمر الله تعالى وإن وقعت مخالفة والعبد غير معصوم فالمبادرة بالتوبة والرجوع إلى الله تعالى وإن لم يكن ذلك عاجلا فليعلم العبد أنه ساقط من عين الحق تعالى متعرض لغضبه إلا أن يمن عليه بعفوه ويستديم في قلبه أنه مستوجب لهذا من الله تعالى ويستديم بذلك انكسار قلبه وانحطاط رتبته في نفسه دون تعزز فما دام العبد على هذا فهو على سبيل الخير وإياكم والعياذ بالله تعالى من لباس حلة الأمن من مكر الله تعالى عند مقاربة

الذنوب باعتقاد العبد أنه أمن من مآخذة الله تعالى له في ذلك فإن من وقف هذا الموقف بين يدي الحق تعالى فهو دليل على أن يموت كافرا والعياذ بالله تعالى.اهـ

والأمن من مكر الله تعالى بحال من الأحوال. قال تعالى: { **أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ**} [الأعراف: ٩٩] وقد كان سيدنا رضي الله عنه يذكر هذا الشرط في في غالب أقواله كما علم بعض ذلك من سبق ، وكان كثيرا ما ينشد لأصحابه هذين البيتين:

وآمن مكر الله بالله جاهل   وخائف مكر الله بالله عارف
ولا جاهل إلا من الله آمن   ولا عارف إلا من الله خائف

ومن أقواله رضي الله عنه: أبشروا أنّ كلّ من كان في محبّتنا إلى أن مات عليها يبعث من الآمنين على أيّ حالة كان ما لم يلبس حلّة الأمان من مكر الله.اهـ قال في المنية:

ومن رأى الفضــل ثم اتكلا عليـه فـاعلا لمـا قـد حظلا
يســب غوث العالم الرباني شيخ الشيوخ أحمد التجاني
فـعـنـد ذا فـلا يـمـوت إلا إذا بحليـة الشــقـا تحلى

وقال في الكوكب الوهاج ما نصه: "اعلم أنه ينبغي لكل عاقل حاذق، وكل مومن صادق الاشتغال بالاستغفار آناء الليل وأطراف النهار، والشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه: عليك بالاستغفار وإن لم يكن هنالك ذنب، واعتبر استغفار النبي ﷺ بعد البشارة بمغفرة ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

هذا في معصوم لم يقترف ذنبا قط، وتقدس عن ذلك، فما ظنك بمن لا يخلوا من العيب والذنب في وقت من الأوقات. اه

تذنيب: ويتأكد التوبة والإنابة على من بلغ أربعين سنة ، لأن عمر الإنسان كما قال تعالى: **{ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا}**

١. **{لَعِبٌ}:** من الولادة إلى الثامنة من العمر فيشتغل بالألعاب ، وهو ما لا فائدة فيه.وقيل: اللعب: ما يجلب السرور.
٢. {**وَلَهْوٌ**} من الثامنة إلى السادسة عشر ، وهو: ما يدفع الهم.
٣. **{وَزِينَةٌ}** من السادسة عشر إلى الرابعة والعشرين.
٤. **{وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ}** من الرابعة والعشرين إلى الثانية والثلاثين ، وهو الرشد ، والأصح ثلاث وثلاثون.
٥. **{وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ}**: من الثانية والثلاثين إلى الأربعين ، وإذا بلغ الأربعين ولم يتب ولم يرجع إلى الله تبارك وتعالى فهو مغبون. وفي الحديث: "**إن الشيطان يجري يده على وجه**

من زاد على الأربعين ولم يتب فيقول بأبي وجه لا يفلح"

وينبغي لمن بلغ الأربعين أن يقول ذلك ويكون هكذا **{كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ}**

قال تعالى: **{أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ}** [الجاثية: ٢١] وقال تعالى: **{وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ}** [الأحقاف: ١٥]

خاتمة

رزقنا الله حسنها في خصائص التوبة

١. اعلم أن التوبة من مخصصات هذه الأمة ،

٢. وأنها أصل كل مقام.

٣. وأنها عمل صالح.

٤. وهي عبادة أمر الله بها في الكتاب العزيز.

٥. وحثنا عليها الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم في السنة المطهرة.

٦. وأن تجديد المتاب إلى الله من مقتضيات.

٧. والتوبة من صفات المومنين الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، إذ هم: {**التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآَمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ**} [التوبة: ١١٢]

٨. والإصرار على التوبة والاشتغال بالافتقار إلى الله تعالى الغني الحميد دليل السعادة وعنوان محبة الحق للعبد. قال تعالى: {**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ**} [البقرة: ٢٢٢]

٩. والتوبة بداية الطريق إلى الله تعالى.

١٠. وأول منازل السالكين الموفقين.

١١. وأن سيرها يفوق في مختلف المنازل والمقامات والمشارب {**قد علم كل أناس مشربهم**}

١٢. وأن ملائكة الرحمن الذين يحملون العرش يستغفرون للذين آمنوا ويدعون للذين تابوا. قال تعالى: {**الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آَمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ**

تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٧) رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٨) وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}
[غافر: ٧ — ٩]

(الحمد لله الذي هدانا لهذا ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، والصلاة والسلام على الفاتح الخاتم الناصر الهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم).